الحجاج بن يوسف الثقفي

مواقف من حياته (دماء وعطاء)

إعداد
أمير بن محمد المدري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ٥
المقدمـــــــة ٩
١- الحجاج وابن الزبير ١٤
٢-ذات النطاقين والحجاج ١٩
٣-الحجاج في العراق ٢٣
٤-الحجاج وابن الجارود ٢٦
٥-فتنة ابن الأشعث ٣٢
٦-الحجاج و الأمويين ٣٥
٧-الحجاج ودخوله الكوفة ٣٦
٨-الحجاج وفراشة ٣٧
٩-بين حاكم جبار وخصم عنيد ٣٨
١٠-الحجاج ورجل من بني تميم ٤٠
١١-الحجاج والشعبي ٤٠
١٢-الحجاج والبستاني ٤٢
١٣-الحجاج والإقناع ٤٣
١٤-الحجاج وابن طلحة ٤٤
١٥-نجاح الحجاج في المجال الاقتصادي ٤٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦-الحجاج وأم البنين ٥١
١٧-الحجاج وليلى الأخيلية ٥٤
١٨-فتوحات الحجاج..... ٥٦
١٩-إصلاحات الحجاج ٥٧
٢٠-الحجاج وتنقيط المصحف ٥٩
٢١- الحجاج و الحسن البصري..... ٦٠
٢٢- الحجاج و سعيد بن المسيّب ٦٢
٢٣- موقف الحجاج مع سعيد بن جبير ٦٤
٢٤- ابن سيرين يذب عن الحجاج ويدفع غيبته ٦٨
٢٥- مواقفه مع محمد ابن الحنفية..... ٦٨
٢٦- شقيق بن سلمة يدعو على الحجاج ثم يعتذر، ويدفع غيبته ٧١
٢٧- مواقفه مع سالم بن عبد الله بن عمر..... ٧٣
٢٨- الحجاج وشيخٌ كبير ٧٤
٢٩- الحجاج وعزة الأعرابي..... ٧٥
٣٠- من خطبه في المواعظ..... ٧٧
٣١- الحجاج وقاتل الحسين..... ٧٩
٣٢- صدق الله وكذب الشاعر ٧٩
٣٣- الحجاج وأربعة وعشرين امرأة..... ٨٠
٣٤- ساء أدبه على الحجاج..... ٨١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٥- الحجاج يعفو ٨٢
٣٦- الحجاج و جحدر بن مالك..... ٨٢
٣٧- الحجاج ينفق في يوم ما ينفقه أمير المؤمنين في أسبوع ٨٥
٣٨- الحجاج وسارق ٨٦
٣٩- الحجاج يأبى النبيذ ٨٧
٤٠ - الخليفة عبد الملك يعتب على الحجاج إسرافه..... ٨٧
٤١- مرض الحجاج..... ٨٩
٤٢- عمر بن عبد العزيز يغبط الحجاج ٩٠
٤٣- قتل عمير بن ضابىء ٩٠
٤٤- الحجاج يعب نفسه..... ٩٢
٤٥- الحجاج يخرج من البصرة ٩٢
٤٦- غيبة الحجاج..... ٩٣
٤٧-زواج الحجّاج من بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٩٥
٤٨- رؤية رآها الحجّاج..... ٩٦
٤٩- كيف مات الحجاج؟! ٩٧
ختاماً..... ١٠٠
المراجع..... ١٠٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمـــة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله المتره عن أن يكون له نظراء وأشباه، المقدس فلا تقرب الحوادث حماه، الذي اختار الإسلام ديناً، وارتضاه، فأرسل به محمد - صلى الله عليه وسلم - ، واصطفاه، وجعل له أصحاباً فاختار كلاً منهم لصحبته واجتباه، وجعلهم كالنجوم بأيهم اقتدى الإنسان اهتدى إلى الحق واقتفاه، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة توجب لهم رضاه، أحمده على نعمه كلها حمداً يقتضي الزيادة من نعمه، ويجزل لنا النصيب من قسمه.

وبعد:

لقد بلغ الحجاج مكانة متميزة في التاريخ الإسلامي ،فقلما تجد كتاباً في التاريخ الإسلامي إلا ويخصص ترجمة للحجاج يذكر فيها مآثره وأفعاله ،ولقد اختلف المؤرخون القدماء والمحدثون في شخصية الحجاج بن يوسف بين مدح وذم، وتأييد لسياسته ومعارضة لها، ولكن الحكم عليه دون دراسة عصره المشحون بالفتن والقلاقل ولجوء خصوم الدولة إلى السيف في التعبير عن معارضتهم لسياسته أمر محفوف بالمزالق، ويؤدي إلى نتيجة غير موضوعية بعيدة عن الأمانة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتراهة.

ولقد عده كثير من المؤرخين صورة مجسمة للظلم، ومثالاً بالغاً للطغيان، وأصبح ذكر اسمه يستدعي في الحال معاني الظلم والاستبداد، وضاعت أعمال الحجاج الجليلة بين ركام الروايات التي تروي مفاسده وتعطشه للدماء، وإسرافه في انتهاكها.

ويقف ابن كثير في مقدمة المؤرخين القدماء الذين حاولوا إنصاف الحجاج؛ فيقول: **"إن أعظم ما نُقِم على الحجاج وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد، وكانت فيه سماحة إعطاء المال لأهل القرآن؛ فكان يعطي على القرآن كثيرا، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ٣٠٠ درهم."**

وقال أيضاً فيه: **"وكانت فيه شهامة عظيمة وفي سيفه رهق، وكان يغضب غضب الملوك، وكان ــ فيما يزعم ــ يتشبه بزياد بن أبيه، وكان زياد يتشّه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ولا سواء ولا قريب، وقال: وبالجملة فقد كان الحجّاج نقمة على أهل العراق بما سلف من الذنوب والخروج على الأئمة وخذلانهم لهم وعصيانهم ومخالفتهم، والاقتيات عليهم، وقال:.. وكان جباراً عنيداً مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة. وقد رُوِي عنه ألفاظ**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بشعة شنيعة ظاهرها الكفر، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها، وإلا فهو باقٍ في عهدتها، ولكن يخشى أنَّها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كان يبغضونه جداً لوجوه وربَّما حرّفوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن ويتجنب المحارم، ولم يُشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسرائرها وخفيَّات الصدور وضمائرها[١].

قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله في (سير أعلام النبلاء) : " **نسبُّه ولا نحبه ، بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان . وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه ، وأمره إلى الله ، وله توحيد في الجملة ، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء** [٢]"

ولا يختلف أحد في أنه اتبع أسلوباً حازماً مبالغا فيه، وأسرف في قتل الخارجين على الدولة، وهو الأمر الذي أدانه عليه أكثر المؤرخين، ولكن هذه السياسة هي التي أدت إلى استقرار الأمن في مناطق الفتن والقلاقل التي عجز الولاة من قبله عن التعامل معها.

ولا ينكر أحد نصرته لجانب من الدين، وهو من أول الناس

---

[١] البداية والنهاية (٥٣٦/١٢) .
[٢] سير أعلام النبلاء (٣٤٣/٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذين ينطبق عليه الحديث الصحيح « **إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر**»[(صحيح) انظر حديث رقم : ١٨١٣ في صحيح الجامع] ولا يجوز لنا أن ننسى الوجه الأهم الذي أطبق عليه العلماء والمؤرخون وهو بأنه ناصبي ضال ظالم فاسق فاجر سفاك للدماء.

أذل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل بعضهم. وقتل وعذّب وسجن جمعاً من التابعين على رأسهم سعيد بن جبير رحمة الله عليه.

وقد نقل عن جمع من السلف تكفيره ،وما دام أننا في مقام ذكر مواقف من حياته فلابد من ذكر كل الوجوه.

وقد وضعت دراسات تاريخية حديثه عن الحجاج، وبعضها كان أطروحات علمية حاولت إنصاف الحجاج وتقديم صورته الحقيقية التي طمس معالمها وملامحها ركام الروايات التاريخية الكثيرة..

وعن تقييم شخصية الحجاج في ضوء حياته، يرى المؤرخون المعاصرون كالمحلل التاريخي الدكتور محمد حلمي أن الحجاج "**الذي توفي بعد أن قضى في حكم القسم الشرقي من دولة الأمويين عشرين عاماً كاملةً، كانت حياته كلها جهاداً قاسياً فرضته عليه الظروف الإقليمية، والاستعداد الطبيعي الذي فطر عليه، ومطامحه الشخصية في السيادة والسلطان. ويكفينا في تقويم عمله وجهده**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن نعود فنذكر كلمة أبي جعفر المنصور: الخلفاء ثلاثة، معاوية وكفاه زياد، وعبدا لملك وكفاه الحجاج، وأنا ولا كافي لي".

ويضيف د. حلمي إلى دور أمثال الحجاج في تاريخ الدولة الأموية دعماً وطموحاً قائلاً: **"وهكذا اعتمدت الحكومة الأموية على خلفاء تميز كثير منهم بالقوة وبعد النظر في اختيار الأعوان، وعرفوا متى يتدخلون في شؤون دولتهم التي حكموها بتطبيق مبدأ اللامركزية. كما أثبت أعوان هؤلاء الخلفاء كفاءة إدارية ممتازة، ساعدت دون أدنى شك على تحقيق هدف الأمويين في الاحتفاظ بالخلافة في قبضة أيديهم أطول زمن لهم به قدرهم".**

وهكذا كان الحجاج ـــ وسيظل ـــ عبر صفحات تاريخنا الإسلامي المجيد، في رؤى المؤرخين المعاصرين، ومن سيأتي بعدنا؛ هو الشخصية المختلف عليها، وكذلك المختلف حولها.

ووقوفي هنا مع هذه الشخصية التاريخية لا للمدح أو الذم ،ولكن لأضع بين يديك أخي القارئ مواقف للحجاج نأخذ منها العظة والعبرة والعاقل من اتعظ بغيره ، والله خير الحاكمين العليم بما تخفي الصدور أسأله أن يتولانا بعفوه وان يغفر لنا زللنا وخطأنا وهو ارحم الراحمين.

أمير بن محمد المدري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليمن – عمران
Almadari_1@hotmail.com

١- الحجاج وابن الزبير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لفت الحجاج أنظار الخليفة عبد الملك بن مروان، ورأى فيه شدةً وحزماً وقدرة وكفاءة، وكان في حاجة إليه؛ حتى ينهي الصراع الدائر بينه وبين عبد الله بن الزبير الذي كان قد أعلن نفسه خليفة سنة (٦٤هـ = ٦٨٣م) بعد وفاة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ودانت له بالولاء معظم أنحاء العالم الإسلامي، ولم يبق سوى الأردن التي ظلت على ولائها للأمويين، وبايعت مروان بن الحكم بالخلافة، فنجح في استعادة مصر من قبضة ابن الزبير، ثم توفي تاركاً لابنه عبد الملك استكمال المهمة، فانتزع العراق، ولم يبق في يد عبد الله بن الزبير سوى الحجاز؛ فجهز عبد الملك حملة بقيادة الحجاج؛ للقضاء على دولته تماما.

قال ابن كثير: [1]((فلما استهلت هذه السنة (أي سنة ٧٣) استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة، قد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها، حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك. وكان مع الحجاج خلق قد قدموا عليه من أرض الحبشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقاً كثيراً، وكان معه خمسة مجانيق، فألحّ عليها بالرمي من كل مكان وحبس عنهم الميرة، فجاعوا، وكانوا يشربون من ماء زمزم، وجعلت الحجارة تقع في الكعبة، والحجاج يصيح بأصحابه: «**يا أهل الشام، الله، الله في الطاعة**». فكانوا

[1] في البداية والنهاية، ١٢/١٧٧-١٨٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحملون على ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شيبة، ثم يكرّون عليه فيشدّ عليهم، فعل ذلك مراراً، وقتل يومئذ جماعة منهم، وهو يقول: «**خذها وأنا ابن الحواري**». وقيل لابن الزبير: ألا تكلمهم في الصلح؟ فقال: «**والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً، والله لا أسألهم صلحاً أبداً**».

وذكر غير واحد: أنهم لما رموا بالمنجنيق، جاءت الصواعق والبروق والرعود، حتى جعلت تعلو أصواتها على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثني عشر رجلاً، فضعفت عن ذلك قلوبهم عن المحاصرة، فلم يزل الحجاج يشجعهم، ويقول:« **إني خبير بهذه البلاد، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها، وإن القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم**»، وجاءت صاعقة من الغد، فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً، فجعل الحجاج يقول: ألم أقل لكم: إنهم يصابون مثلكم، وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة؟ وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق يقولون:

خطَّارة مثل الفنيق المزبد نرمي بها عُوَّاد هذا المسجد

فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة، فخطبهم الحجاج فقال: «**ويحكم ألم تعلموا أن النار**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت تنزل على من قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم؟ فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته»، فعادوا إلى المحاصرة.

ومازال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بأمان، ويتركون ابن الزبير، حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف فأمّنهم، وقل أصحاب ابن الزبير جداً، حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير، فأخذا لأنفسهما أماناً من الحجاج، فأمنهما.

قالوا: وكان يخرج من باب المسجد الحرام، وهناك خمسمائة فارس وراجل، فيحمل عليهم فيتفرقون عنه يمناً وشمالاً، ولا يثبت له أحد، وهو يقول:

إني إذا أعرف يومي أصبره إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

ويقول أيضاً:

الموت أكرم من إعطاء منقصة من لم يمت غبطة فالغاية الهَرَمُ

وكانت أبواب الحرم قد قلّ من يحرسها من أصحاب ابن الزبير، وكان لأهل حمص حصار الباب الذي يواجه الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم، وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد، وكان الحجاج، وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا يترعج بذلك، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضارٍ، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة، بات ابن الزبير يصلي طول ليلته، ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغفى، ثم انتبه مع الفجر على عادته، ثم قال: أذِّن يا سعد. فأذن عند المقام، وتوضأ ابن الزبير ثم صلّى ركعتي الفجر ثم أقيمت الصلاة، فصلى الفجر فقرأ سورة ((ن)) حرفاً حرفاً، ثم سلّم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال لأصحابه: «**ما أراني اليوم إلا مقتولاً، فإني رأيت في منامي كأن السماء فرجت لي فدخلتها، وإني والله قد مللت الحياة، وجاوزت سني اثنتين وسبعين سنة، اللهم إني أحبّ لقاءك فأحب لقائي**». ثم قال: اكشفوا عن وجوهكم حتى أنظر إليكم، فكشفوا عن وجوههم وعليهم المغافر، فحرّضهم وحثّهم على القتال والصبر، ثم نهض بهم فحمل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون، فجاءته آجُرَّةٌ فأصابته في وجهه، فارتعش لها، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثّل بقول بعضهم:

فلسنا على الأعقاب تدمى ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم رجع فجاءه حجر منجنيق من ورائه فأصابه في قفاه فوقذه، ثم وقع إلى الأرض على وجهه، ثم انتهض فلم يقدر على القيام، وابتدره الناس، فشدّ عليه رجل من أهل الشام، فضرب الرجل فقطع رجليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو متكئ على مرفقه الأيسر، وجعل يضرب وما يقدر أن ينتهض، حتى كثروا عليه، فابتدروه بالسيوف، فقتلوه t ، وجاءوا إلى الحجاج فأخبروه، فخر ساجداً قبَّحه الله، ثم قام هو وطارق بن عمرو حتى وقفا عليه وهو صريع، فقال طارق: ما ولدت النساء أذْكَرَ من هذا.

وكان من أثر هذا الظفر أن أسند الخليفة إلى الحجاج ولاية الحجاز مكافأة له على نجاحه، وكانت تضم مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليه اليمن واليمامة فكان عند حسن ظن الخليفة وأظهر حزما وعزما في إدارته؛ حتى تحسنت أحوال الحجاز، فأعاد بناء الكعبة، وبنى مسجد ابن سلمة بالمدينة المنورة، وحفر الآبار، وشيد السدود.

٢-ذات النطاقين والحجاج

دخل عبد الله بن الزبير على أمه، فشكا إليها خذلان الناس له، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله، وأنه لم يبق معه إلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليسير، ولم يبق لهم صبر ساعة، والقوم يعطونني ما شئت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: «**يا بني أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق، وتدعو إلى حق، فاصبر عليه، فقد قتل أصحابك، ولا تُمكّن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا، فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت من قتل معك، وإن كنت على حق، فما وهن الدين، وإلى كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن**». فدنا منها فقبل رأسها، وقال: هذا والله رأيي. ثم قال: «**والله ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك، فزدتيني بصيرة على بصيرتي، فانظري يا أماه، فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتدّ حزنك، وسلّمي لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمّد إتيان منكر، ولا عمل فاحشة قط، ولم يَجُرْ في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمّد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته،بل أنكرته،ولم يكن عندي آثر من رضا ربي لأ،اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي، اللهم أنت أعلم بي مني ومن غيري، ولكني أقول ذلك تعزيةً لأمي؛ لتسلو عني**»، فقالت أمّه: «**إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني أو تقدمتك ففي نفسي، اخرج يا بني حتى أنظر إلى ما**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يصير إليه أمرك، فقال: جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعي الدعاء قبل وبعد لي. فقالت: لا أدعه أبداً، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق. ثم قالت: «**اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة، وبرّه بأبيه وبي، اللهم إني قد سلمته لأمرك، ورضيت بما قضيت، فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين**». ثم قالت له: ادن مني أودعك. فدنا منها، فقبّلته ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه، واعتنقها ليودعها، وكانت قد أضرت في آخر عمرها فوجدته لابساً درعاً من حديد، فقالت: «**يا بني ما هذا لباس من يريد ما تريد من الشهادة**». فقال: يا أماه، إنما لبسته لأطيّب خاطرك وأسكّن قلبك به. قالت: لا يا بنيّ، ولكن انزعه، فنزعه،وجعل يلبس بقية ثيابه، ويتشدّد، وهي تقول: شمّر ثيابك. وجعل يتحفّظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل،وجعلت تذكره بأبيه الزبير، وجدّه أبي بكر الصديق،وجدّته صفيّة بنت عبد المطلب،وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ ، وترجّيه القدوم عليهم إذا هو قتل شهيداً. ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رَضْيَ اللَّهُ عنْهَا وعن أبيه وأبيها، ثم قالت: امضِ على بصيرتك، فودّعها وخرج وهو يقول:

لست بمبتاع الحياة بسُبَّةٍ ولا مرتقٍ من خشية الموتِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال ابن كثير: [١]((قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف، ثنا عوف عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعدما قتل ابنها عبد الله، فقال: **إن ابنك ألحد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم، وفعل به وفعل**، فقالت: **كذبت، كان بارّاً بوالديه، صوّاماً قوّاماً، والله لقد أخبرنا رسول الله r أنه يخرج من ثقيف كذابان: الآخر منهما شر من الأول. وهو مبير..**[٢].

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله r نهى عن المثلة، وسمعته يقول: ((**يخرج من ثقيف رجلان: كذاب ومبير، قالت: فقلت للحجاج: أما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت هو يا حجاج**)).

وفي صحيح مسلم، رقم ٢٢٩/٢٥٤٥ أن أسماء قالت: ((**أما إن رسول الله r حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه، فقام عنها ولم يراجعها**)).

---

[١] البداية والنهاية، ٥١٤/١٢

[٢] انظر: البداية والنهاية، ٥١٣/١٢-٥١٥، وتاريخ ابن عساكر، ١٢١/١٢-١٢٢، وتاريخ الإسلام للذهبي، ٣١٦/٦-٣١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣-الحجاج في العراق

بعد أن أمضى الحجاج زهاء عامين واليًا على الحجاز نقله الخليفة واليا على العراق بعد وفاة أخيه بشر بن مروان، وكانت الأمور في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العراق بالغة الفوضى والاضطراب، تحتاج إلى من يعيد الأمن والاستقرار، ويسوس الناس على الجادة بعد أن تقاعسوا عن الخروج للجهاد وركنوا إلى الدعة والسكون، واشتدت معارضتهم للدولة، وازداد خطر الخوارج، وقويت شكوتهم بعد أن عجز الولاة عن كبح جماحهم.

ولبى الحجاج أمر الخليفة وأسرع في سنة (٧٥هـ = ٦٩٤م) إلى الكوفة، وفي أول لقاء معهم خطب في المسجد خطبة عاصفة أنذر فيها وتوعد المخالفين والخارجين على سلطان الخليفة والمتكاسلين عن الخروج لقتال الخوارج الأزارقة، وخطبة الحجاج هذه مشهورة متداولة في كتب التاريخ، ومما جاء فيها: "**... يا أهل الكوفة إني لأرى أرؤسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وإن أمير المؤمنين –أطال الله بقاءه- نثر كِنانته (جعبة السهام) بين يديه، فعجم عيدانها (اختبرها)، فوجدني أمرّها عودا، وأصلبها مكْسِرًا فرماكم بي؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مناخ الضلال، وسننتم سنن العي، وأيم الله لألحونكم لحو العود، ولأقرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، إني والله لا أحلق إلا فريت، ولا أعد إلا**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفيت، إياي وهذه الزرافات، وقال وما يقول، وكان وما يكون، وما أنتم وذاك؟.

يا أهل العراق! إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرتم بأنعم الله، فأتاها وعيد القرى من ربها، فاستوسقوا واعتدلوا، ولا تميلوا، واسمعوا وأطيعوا، وشايعوا وبايعوا، واعلموا أنه ليس مني الإكثار والإبذار والأهذار، ولا مع ذلك النفار والفرار، إنما هو انتضاء هذا السيف، ثم لا يغمد في الشتاء والصيف، حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم، ويقيم له أودكم، وصغركم، ثم إني وجدت الصدق من البر، ووجدت البر في الجنة، ووجدت الكذب من الفجور، ووجدت الفجور في النار، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وإشخاصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين، وقد أمرت لكم بذلك، وأجلتكم ثلاثة أيام، وأعطيت الله عهداً يؤاخذني به، ويستوفيه مني، لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه أحد لأضربن عنقه. ولينهبن ماله.

ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام! أنتم البطانة والعشيرة، والله لريحكم أطيب من ريح المسك الأزفر، وإنما أنتم كما قال الله تعالى: " ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصلها ثابت وفرعها في السماء " والتفت إلى أهل العراق فقال: لريحكم أنتن من ريح الأبخر، وإنما أنتم كما قال الله تعالى: " ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار " . وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلّب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلّف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه."

وأتبع الحجاج القول بالفعل ونفذ وعيده بالقتل في واحد تقاعس عن الخروج للقتال، فلما رأى الناس ذلك تسارعوا نحو قائدهم المهلب لمحاربة الخوارج الأزارقة، ولما اطمأن الحجاج إلى استقرار الأوضاع في الكوفة، ذهب إلى البصرة تسبقه شهرته في الحزم، وأخذ الناس بالشدة والصرامة وخطب فيهم خطبة منذرة زلزلت قلوبهم، وحذرهم من التخلف عن الخروج مع المهلب قائلا لهم: "إني أنذر ثم لا أنظر، وأحذر ثم لا أعذر، وأتوعد ثم لا أعفو».

٤-الحجاج وابن الجارود

سار الحجاج إلى رستقباذ، وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً، وإنما أراد أن يشد ظهر المهلب وأصحابه بمكانه، فقام خطيباً حين نزلها فقال: يا أهل المصرين! هذا المكان والله مكانكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شهراً بعد شهر وسنةً بعد سنة حتى يهلك الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم.

ثم إنه خطب يوماً فقال: **إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة مخسرة باطلة من ملحد فاسق منافق ولسنا نجيزها! وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة.**

فقال عبد الله بن الجارود: **إنما ليست بزيادة ابن الزبير إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر.**

فقال له الحجاج: **ما أنت والكلام لتحسنن حمل رأسك أو لأسلبنك إياه** فقال: و لم؟ إني لك لناصح وإن هذا القول من ورائي.

فنزل الحجاج ومكث أشهراً لا يذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها، فرد عليه ابن الجارود مثل رده الأول. فقام مصقلة بن كرب العبدي أبو رقبة ابن مصقلة المحدث عنه فقال: إنه ليس للرعة أن ترد على راعيها، وقد سمعنا ما قال الأمير، فسمعاً وطاعةً فيما أحببنا وكرهنا.

فقال له عبد الله بن الجارود: يا ابن الجرمقانية! ما أنت وهذا! ومتى كان مثلك يتكلم وينطق في مثل هذا؟ وأتى الوجوه عبد الله بن الجارود فصوبوا رأيه وقوله، وقال الهذيل بن عمران البرجمي وعبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعي وغيرهما: نحن معك وأعوانك، إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة، فهلم نبايعك على إخراجه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من العراق ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولي علينا غيره، فإن أبى خلعناه، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج. فبايعه الناس سراً وأعطوه المواثيق على الوفاء وأخذ بعضهم على بعضهم العهود.

وبلغ الحجاج ما هم فيه فأحرز بيت المال واحتاط فيه. فلما تم لهم أمرهم أظهروه، وذلك في ربيع الآخر سنة ست وسبعين، وأخرج عبد الله بن الجارود عبد القيس على راياتهم، وخرج الماس معه حتى بقي الحجاج وليس معه إلا خاصته وأهل بيته، فخرجوا قبل الظهر، وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر، وكانت خزائن الحجاج والسلاح من ورائه. فأرسل الحجاج أعين، صاحب حمام أعين بالكوفة، إلى ابن الجارود يستدعيه إليه، فقال ابن الجارود: ومن الأمير! لا ولا كرامة لابن أبي رغال! ولكن ليخرج عنا مذموماً مدحوراً وإلا قاتلناه! فقال أعين: فإنه يقول لك أتطيب نفساً بقتلك وقتل أهل بيتك وعشيرتك؟ والذي نفسي بيده لئن لم يأتني لأدعن قومك عامة وأهلك خاصة حديثاً للغابرين. وكان الحجاج قد حمل أعين هذه الرسالة. فقال ابن الجارود: لولا أنك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة! وأمر فوجئ في عنفه وأخرج.

واجتمع الناس لابن الجارود، فأقبل بهم زحفاً نحو الحجاج، وكان رأيهم أن يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه، فلما صاروا إليه نهبوه في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فسطاطه وأخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابه، وجاء أهل اليمن فأخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير، وجاءت مضر فأخذوا امرأته الأخرى أم سلمة بنت عبد الرحمن بن عمرو أخي سهيل بن عمرو. فخافه السفهاء، ثم إن القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه، فأتاه قوم من أهل البصرة فصاروا معه خائفين من محاربة الخليفة.

فجعل الغضبان بن القبعثري الشيباني يقول لابن الجارود: تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك، أما ترى من قد أتاه منكم؟ ولئن أصبح ليكثرن ناصره ولتضعفن منتكم! فقال: قد قرب المساء ولكنا نعاجله بالغداة.

وكان مع الحجاج عثمان بن قطن وزياد بن عمرو العتكي، وكان زياد على شرطة البصرة، فقال لهما: ما تريان؟ فقال زياد: أن آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين فقد ارفض أكثر الناس عنك ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك. فقال عثمان بن قطن الحارثي: لكني لا أرى ذلك، إن أمير المؤمنين قد شركك في أمرك وخلطك بنفسك واستنصحك وسلطك فسرت إلى ابن الزبير، وهو أعظم الناس خطراً، فقتلته، فولاك الله شرف ذلك وسناه، وولاك أمير المؤمنين الحجاز، ثم رفعت فولاك العراقين، فحيث جريت إلى المدى وأصبت الغرض الأقصى تخرج على قعود إلى الشام، والله لئن فعلت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا نلت من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من سلطان أبداً وليتضعن شأنك، ولكني أرى أن نمشي بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفراً أو نموت كراماً. فقال له الحجاج: الرأي ما رأيت. وحفظ هذا لعثمان وحقدها على زياد بن عمرو.

وجاء عامل بن مسمع إلى الحجاج فقال: إني قد أخذت لك أماناً من الناس، فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول: والله لا أؤمنهم أبداً حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم. وأرسل إلى عبيد بن كعب النميري يقول: هلم إلي فامنعني. فقال: قل له إن أتيتني منعتك. فقال: لا ولا كرامة! وبعث إلى محمد بن عمير بن عطارد كذلك، فأجابه مثل الجواب الأول، فقال: لا ناقتي في هذا ولا جملي. وأرسل إلى عبد الله بن حكيم المجاشعي فأجابه كذلك أيضاً.

ومر عبد بن الحصين الحبطي بابن الجارود وابن الهذيل وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون، فقال: أشركونا في نجواكم. فقالوا: هيهات أن يدخل في نجوانا أحد من بني الحبط! فغضب وصار إلى الحجاج في مائة رجل، فقال له الحجاج: ما أبالي من تخلف بعدك.

وسعى قتيبة بن مسلم في قومه في يحيى أعصر؟ وقال: لا والله لا ندع قيساً يقتل ولا ينهب ماله، يعني الحجاج، وأقبل إلى الحجاج.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان الحجاج قد يئس من الحياة، فلما جاءه هؤلاء اطمأن، ثم جاءه سبرة بن علي الكلابي وسعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فسلم، فأدناه منه، وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي، وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع: إن شئت أتيتك وإن شئت أقمت وثبطت الناس عنك. فقال: أقم وثبط الناس عني.

فلما اجتمع إلى الحجاج جمع يمنع بمثلهم خرج فعبأ أصحابه ولتلاحق الناس به، فلما أصبح إذا حوله نحو ستة آلاف، وقيل غير ذلك. فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان: ما الرأي؟ قال: تركت الرأي أمس حين قال لك الغضبان تعش بالجدي قبل أن يتغذى بك، وقد ذهب الرأي وبقي الصبر.

فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فتطير. وحرض الحجاج أصحابه وقال: لا يهولنكم ماترون من كثرتهم. وتزاحف القوم وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم، ويقال عباد بن الحصين، وعلى ميسرته سعيد بن أسلم؛ فحمل ابن الجارود في أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج، فعطف الحجاج عليه، ثم اقتتلوا ساعةً وكاد ابن الجارود يظفر فأتاه سهم غرب فأصابه فوقع ميتاً. ونادى منادي الحجاج بأمان الناس إلا الهذيل وعبد الله بن حكيم، وأمر أن لا يتبع المنهزمون، وقال: الأتباع من سوء الغلبة. فانهزم عبيد الله بن زياد بن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظبيان، وأتى سعيد بن عياذ بن الجلندي الأزدي بعمان، فقيل لسعيد: غنه رجل فاتك فاحذره، فلما جاء البطيخ بعث إليه بنصف بطيخة مسمومة وقال: هذا أول شيء جاء من البطيخ وقد أكلت نصف بطيخة وبعثت بنصفها، فأكلها عبيد الله فأحسن بالشر فقال: أردت أن أقتله فقتلني.

وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأساً من وجوه أصحابه إلى المهلب فنصبت ليراها الخوارج ويأسوا من الاختلاف..

٥-فتنة ابن الأشعث

قدر الله أن تمرّد على الحجاج أحد قوّاده،وهو عبد الرحمن بن الأشعث، في فتنة دامت ثلاث سنوات (٨١-٨٣ هـ - ٧٠٠-٧٠٢م) ،فقد سيّر الحجاج قائده ابن الأشعث بجيش ليغزو رتبيل ملك الترك في بلاده ما وراء سجستان، وكان ابن الأشعث معروفاً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بشجاعته، وبسالته، وقوّته، وبالفعل تمّ له – بفضل الله – فتح هذه البلاد والنصر على رتبيل، فأرسل ابن الأشعث خُمس الغنائم إلى الحجاج، ليودعها في بيت مال المسلمين، واستأذنه في التوقف عن القتال ريثما يتبين له أمر تلك البلاد، ويقف على معالمها ومداخلها ومخارجها حتى لا يعرّض جيشه لصعوبات ومواقف حرجة، قد تؤدي به في النهاية إلى الهزيمة والهلَكة، فاستشاط الحجاج غيظاً، واعتبر ذلك منه تمرداً على أوامره، أو خنوعاً، وخوفاً وجبناً، وكتب الحجاج لابن الأشعث كتاباً يهدده، وينذره، ويلوح عليه باللائمة والنقمة، فغضب لذلك ابن الأشعث، وانتهزها فرصة، خاصة وأن الجيش ناقم على الحجاج، غير راض عنه وعن حكومته، ولا عن سياسته. فاستشارهم ابن الأشعث فيما يفعل بعد أن أطلعهم على الكتاب، فصادف ميلاً في قلوبهم، وحانت الفرصة التي يتخلّصون من حكمه، وبطشه، وجبروته، فدعوا ابن الأشعث إلى الخروج عليه، ولما استوثق ابن الأشعث من رغبتهم هذه، أخذ منهم البيعة على ذلك، فبايعه الجند على قتال الحجاج، ودارت بينهما معارك طاحنة، كان النصر فيها حليفاً لابن الأشعث، فاستولى على سجستان، وأكثر بلاد فارس، مما شجع ابن الأشعث على مواصلة حربه وقتاله، وتخليص الكوفة والبصرة من بطش الحجاج وعتوّه، ولكن مالت كفّة النصر، وأصبحت من نصيب الحاكم الظالم الغشوم الحجاج بن يوسف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثقفي.

ودارت معارك طاحنة حسمها الحجاج لصالحه، وتمكن من سحق عدوه في معركة دير الجماجم سنة (٨٣ هـ = ٧٠٢م)، والقضاء على فتنته ،وانهزم ابن الأشعث هزيمة منكرة، فر على إثرها لينجو بنفسه، واستسلم الجيش المتمرّد، وأمر الحجاج بتجديد البيعة له، والانطواء تحت عباءته، فاستجاب الكثير، وفرّ البعض، وكان من أمر الذين استجابوا له واستسلموا أن خيّرهم الحجاج بين أمرين: أحلاهما مرّ، وأخفّهما تأباه النفس الأبيّة، وتلفظه الفطرة السويّة، خيّرهم الحجاج بين أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر بنقض البيعة لوالي أمير المؤمنين، وبين أن يُقتلوا، فاختار بعضهم القتل على أن يتكلم بكلمة الكفر، وبعضهم استعمل التَّقيَّة، وأخذ بالرخصة، وشهد على نفسه بالكفر كرهاً واضطراراً(١).

(١) سير أعلام التابعين، ص٦٨، ٦٩، وانظر: سير أعلام النبلاء، ٣٢١/٤-٣٤٢، برقم ١١٦، والطبقات الكبرى، ٢٦٧/٦-٢٧٧، برقم ٢٣١٧، وتهذيب الكمال، ٣٥٨/١٠-٣٧٦، برقم ٢٢٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦-الحجاج و الأمويين

ذُكر أن الحجاج وأباه كانا يعلمان الصبيان بالطائف، ثم لحق الحجاج بِرَوْح بن زنباع الجذامي، وزير عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته، إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره، وأن الناس لا يرحلون برحيله، ولا يتزلون بتزوله، فشكا ذلك إلى روح بن زنباع، فقال له: إن في شرطتي رجلاً، لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره، لأرحل الناس برحيله، وأنزلهم بتزوله ــ يقال له الحجاج بن يوسف الثقفي ــ قال فإنا قد قلدناه ذلك، فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع".

و لم يفوِّت الحجاج الفرصة إظهاراً للولاء طاعةً لعبد الملك منذ ولي شرطته، ولو كان ذلك على حساب روح بن زنباع نفسه، ذلك الذي زكّاه عند عبدالملك، وهذا ما يمكن أن نستشفه مما يرويه ابن خلكان، ذلك أنه لّما رأى الحجاج أن جند ابن زنباع قد شذوا عن بقية الجند لقربهم منه حظوة ومكانة؛ متخلفين عن الرحيل؛ وقف عليهم يوماً ــ وقد أرحل الناس وهم على الطعام يأكلون ــ فقال لهم: ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين؟ فقالوا له: انزل يا ابن اللخناء فكُلْ معنا (واللخناء: أي منتنة مطاوي الجسد، والتي لم تختن، وابن اللخناء يكنّى به عن اللئيم الأم أو دنيء الأصل)، فقال لهم:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هيهات! ذهب ذلك، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط، وطوّفهم في العسكر، وأمر بفسطاط روح فأحرقت بالنار، فدخل روح على عبدالملك باكياً، وقال: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلماني، وأحرق فساطيطي" قال: عليّ به. فلما دخل عليه قال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: أنا ما فعلت؟ قال: ومن فعل ذلك؟ قال: أنت إنما يدي يدك وسوطي سوطك، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروحٍ ما ذهب له عوض الفسطاط فسطاطين وعوض الغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدّمني له، فأخلف لروحٍ ما ذهب له وتقدّم الحجاج في مترلته .

٧-الحجاج ودخوله الكوفة

الحجاج بدأ حكمه من الكوفة قوياً حازماً منذ دخوله إليها، بعد أن أمر رجاله أن يبقوا على مقربة منها، ودخلها في صحبة عدهّا اثنا عشر رجلاً فقط، ثم توجه إلى المسجد، وصعد منبره متلثماً، وظل مدة متعمداً الصمت، حتى ظن الناس به العِيَّ وعدم القدرة على مواجهة الناس، حتى أخذ أحد الناس يجمع ملء كفه من حصى المسجد يريد رميه به. ولما تأكد الحجاج من تنبه سامعيه إليه، خطب خطبته المشهورة بادئاً إياها ببيت مشهور، يتوعد أهل الكوفة قائلاً:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وما إن بدأت نبرة الوعيد تعلو، وتأثيرها يسري في سامعيه شدة وقسوة حتى خمدوا. وفي هذا اللقاء الأول مع أهل الكوفة، وفي نهاية الخطبة، توعد من لا يلحق من أهل الكوفة بالمهلب في خلال ثلاثة أيام، حيث قال: (**وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه.** ثم أمر غلامه بأن يقرأ كتاب التولية، فبدأ غلامه يقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين. سلام عليكم...) فلم ينطق أحد ممن بالمسجد. فصاح الحجاج بغلامه ثم بالناس: (انتظر يا غلام ... يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون السلام!! والله لأؤدبنكم أو لتستقِيْمُنَّ .. اقرأ يا غلام) فأعاد الغلام ما قاله: (...) فلم يبق أحد بالمسجد إلا وقال: (وعلى أمير المؤمنين السلام).

٨-الحجاج وفراشة

قال القاضي المعافي: حدث العُتبي قال: كانت امرأة من الخوارج من الأزد يقال لها فراشة، وكانت ذات نية في رأي الخوارج، تجهز أصحاب البصائر منهم، ولم يظفر بها، وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض ممّن جهزته، فمكث ما شاء الله، ثم جيء برجل، فقيل له: هذا ممن جهزته فراشة، فخر ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: ياعدو الله؟! قال: أنت أولى بها يا حجاج، قال: أين فراشة؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال: مرت تطير منذ ثلاث، قال أين تطير؟ قال: بين السماء والأرض، قال: أعن تلك سألتك ـــ عليك لعنة الله؟!ـــ قال عن تلك أخبرتك ـــ عليك غضب الله ـــ قال: سألتك عن المرأة التي جهزتك أنت وأصحابك، قال: وما تصنع بها؟، قال: أضرب عنقها، قال: ويلك ياحجاج! ما أجهلك! أدلك، وأنت عدو الله، على وليِّ الله! "لقد ضللتُ إذا وما أنا من المهتدين"، قال: فما رأيك في أمير المؤمنين عبدالملك؟ قال: على ذلك الفاسق لعنةِ الله ولعنةِ اللاعنين، قال: و لم لا أم لك؟ قال: لأنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض، قال: وما هي؟ قال: استعماله إياك على رقاب المسلمين.

٩-بين حاكم جبار وخصم عنيد

أراد الحجاج أن يشرك جلساءه في أمر خصمه، الذين رأوا قتله، و لم يرهب ذلك الخصم الخارجي، بل زاده عناداً على عناد، غير مداهن لجلسائه وبطانته، بل جمعهم في قران واحد مع الحجاج، انتقاصاً منهم ومنه، ليستمر الحوار الذي انتهى بقتل الخارجي على النحو التالي:

قال الحجاج لجلسائه: "ما رأيكم فيه؟ قالوا: نرى أن تقتله قتلة لم يقتل مثلها أحد، قال: ويحك ياحجاج! جلساء أخيك كانوا خيراً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من جلسائك، قال: وأي إخوتي تريد؟ قال: فرعون حين شاور في موسى فقالوا: "أرجه وأخاه"، وأشار هؤلاء عليك بقتلي، قال: فهل حفظت القرآن؟ قال: ما خشيت فراره فأحفظه، قال: هل جمعت القرآن؟ قال: ما كان مفرقاً فأجمعه، قال: أقرأته ظاهراً؟ قال: معاذا الله! قرأته وأنا أنظر إليه، قال: فكيف تلقى الله إن قتلتك؟ قال: ألقاه بعملي، وتلقاه بدمي. قال: إذن أعجلك إلى النار، قال: لو علمت أن ذلك إليك لأحسنت عبادتك واتقيت عذابك، ولم أبغ خلافك ومناقضتك، قال: إني قاتلك، قال: إذن أخاصمك، لأن الحكم يومئذٍ إلى غيرك، قال: نقمعك عن الكلام السيئ، يا حرسيّ اضرب عنقه ــ وأومأ إلى السيَّاف ألا تقتله ــ فجعل يأتيه من بين يديه ومن خلفه ويروِّعه بالسيف، فلما طال عليه ذلك رشح جبينه، فقال له: جزعت يا عدو الله، قال: لا يا فاسق، ولكن أبطأت عليّ بما لي فيه راحة، قال: يا حرَسي اضرب عنقه، وأعظم جرحه، فلما أحس بالسيف قال: لا إله إلا الله – ووالله لقد أتمها ورأسه في الأرض.

هذا هو الحجاج مع مناوئيه، لا يسمع إلا لصوت رأسه، وبخاصة إذا كان خصمه يكيل له الصاع صاعين، لا تأخذه به شفقة ورحمة، بل كان يزيد على ذلك إذلاله، يعينه على ذلك مكانته في خلافة عبد الملك بطشاً بالمخالفين ــ وعلى نقيض ما سبق، كان يقدر لمن يصانعه، في نفاق أو غير نفاق، ممن يخالفونه رأياً دون مواجهة أحياناً،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيعفو عنهم وفق هوى فكره، والمواقف المروية عنه في ذلك كثيرة.

١٠-الحجاج ورجل من بني تميم

روى أبو الحسن المدائني قال: لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث جلس لضرب رقابهم عامة النهار، فأتى آخرهم برجل من بني تميم، فقال: والله، يا حجاج، لئن كنا أسأنا في الذنب لَمَا أحسنت في العقوبة! فقال الحجاج: أف لهذه الجيف! أما كان فيهم من يحسن مثل هذا؟! وعفا عنه.

١١-الحجاج والشعبي

يقال إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال للشعبي يوماً: كم عطاءك في السنة؟ فقال الشعبي: ألفين. فقال الحجاج: ويحك! كم عطاؤك؟ فقال الشعبي: ألفان. قال الحجاج: كيف لحنت أولاً؟! قال الشعبي: [لحن الأمير فلحنت. فلما أعرب أعربت، وما أمكن أن يلحن الأمير وأعرب أنا. فاستحسن ذلك منه وأجازه.

وعن الشعبي قال: لما قدم الحجاج سألني عن أشياء من العلم، فوجدني بها عارفاً، فجعلني عريفاً على قومي الشعبيين، ومنكباً على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جميع همدان، وفرض لي، فلم أزل عنده بأحسن منزلة، حتى كان شأن عبدالرحمن بن الأشعث، فأتاني قُرّاء أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا عمرو، إنك زعيم القرّاء، فلم يزالوا حتى خرجت معهم، فقمت بين الصفين أذكر الحجاج، وأعيبه بأشياء، فبلغني أنه قال: ألا تعجبون من هذا الخبيث أما لئن أمكنني الله منه لأجعلن الدنيا عليه أضيق من مَسْكِ جمل. قال: فما لبثنا أن هُزمنا، فجئت إلى بيتي، وأغلقت عليّ، فمكثت تسعة أشهر، فندب الناس لخراسان، فقام قتيبة بن مسلم، فقال: أنا لها، فعقد له على خراسان، فنادى مناديه: من لحق بعسكر قتيبة فهو آمن، فاشترى مولى لي حماراً، وزوّدني، ثم خرجت، فكنت في العسكر، فلم أزل معه حتى أتينا فَرْغانة؛ فجلس ذات يوم وقد برق؛ فنظرت إليه فقلت: أيها الأمير، عندي علم (ما تريد) فقال: ومن أنت؟ قلتُ: أعيذك ألا تسأل عن ذلك، فعرف أني ممن يخفي نفسه؛ فدعا بكتاب فقال: اكتب نسخة. قلت: لا تحتاج إلى ذلك، فجعلت أملي عليه وهو ينظر، حتى فرغ من كتاب الفتح. قال: فحملني على بغلة، وأرسل إلي بسرق من حرير، وكنت عنده في أحسن منزلة، فإني ليلة أتعشى معه، إذا أنا برسول الحجاج بكتاب فيه: إذا نظرت في كتابي هذا، فإن صاحب كتابك عامر الشعبي، فإن فاتك، قطعت يدك على رجلك وعزلتك. قال: فالتفت إليّ، وقال: ما عرفتك قبل الساعة، فاذهب حيث شئت من الأرض، فوالله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأحلفن له بكل يمين؛ فقلت: أيها الأمير، إن مثلي لا يخفى، فقال: أنت أعلم. قال: فبعثني إليه وقال: إذا وصلتم إلى خضراء واسط فقيّدوه، ثم أدخلوه على الحجاج.

فلما دنوت من واسط، استقبلني ابن أبي مسلم، فقال: يا أبا عمرو، إني لأضنُّ بك عن القتل، إذا دخلت على الأمير فقل كذا، وقل كذا، فلما أُدخلت عليه ورآني قال: لا مرحباً، ولا أهلاً، جئتني ولست في الشرف من قومك، ولا عريفاً ففعلت وفعلت، ثم خرجت عليَّ؟ وأنا ساكت فقال: تكلّم. فقلت: أصلح الله الأمير، كلّ ما قلته حقّ، ولكنّا قد اكتحلنا بعدك السهر، وتحلّسنا الخوف، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، فهذا أوان حقنت لي دمي، واستقبلت بي التوبة. قال: قد فعلت ذلك(١).

١٢-الحجاج والبُستاني

ومما يروى من المواقف الطريفة ما ذكره أبو الحسن محمد بن هلال أن الحجاج انفرد يوماً عن عسكره، فمر ببستاني يسقي ضيعة له، فقال له: كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال: لعنه الله! المبيد المثير الفتن، عجل الله له الانتقام، قال له: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا

(١) سير أعلام التابعين، ص١٠١، ١٠٣، وانظر: سير أعلام النبلاء، ٢٩٤/٤-٣١٩، برقم ١١٣، والطبقات الكبرى، ٢٥٩/٦-٢٦٧، برقم ٢٣١٦، وتهذيب الكمال، ١٨/١٤-٤٠، برقم ٣٠٤٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجاج، فرأى أن دمه قد طاح، فرفع عصا كانت معه، وقال: أتعرفني، أنا أبو ثور المجنون، وهذا يوم صرعي ـــ وأرغى وأزبد وهاج، وأراد أن يضرب رأسه بالعصاـــ فضحك منه وانصرف.

١٣-الحجاج والإقناع

ومما يروى عن قدرة الحجاج وامتلاكه لمنطق الإقناع، ولو أدى إلى قلب الحقائق، موقفه من قتل عبدالله بن الزبير ابن العوام ـــ رضي الله عنهما ـــ وما كان من شأن التَّابعيّ الجليل مالك بن دينار ـــ رضي الله عنه ـــ بمقولة تكشف ـــ وإن لم تصرح ـــ عن هذه القدرة التي هي في النهاية نوع من مراوغة الثعالب، إذ إنه: "لما قتل عبدالله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء، فأمر الحجاج الناس، فجمعوا بالمسجد، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل مكة: بلغني بكاؤكم وأسفكم واستفظاعكم قتل عبدالله بن الزبير، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهلها، فخلع طاعة الله، واستكن بحرم الله، ولو كان شيء مانع للعصاة لمنعت آدم حرمة الجنة، لأن الله تعالى خلقه، بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأباحه كرامته، وأسكنه جنته، فلما عصا أخرجه من الجنة بخطيئته، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة، فاذكروا الله يذكركم. ونزل. قال مالك بن دينار ـــ رضي الله عنه ـــ: ربما سمعت الحجاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه، لبيانه وحسن تخلصه.

١٤-الحجاج وابن طلحة

لما ولي الحجاج الحرمين بعد قتل عبد الله بن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقرَّبه في المترلة، فلم يزل على حاله حتى خرج إلى عبد الملك بن مروان زائراً له، فخرج إبراهيم معه، فصار لا يترك في بره وجلاله وتعظيمه شيئاً إلا فعله، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه، فدخل على عبد الملك، فلم يبدأ بشيء بعد السلام إلاَّ أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز، لم أدع له فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والرياسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة، مع القرابة ووجوب الحق، إبراهيم بن طلحة بن عبيدالله، وقد أحضرته ببابك ليسهل عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أذنك، وتلقاه ببشرك، وتفعل به ما تفعله بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذهبه.

فما كان من عبدالملك إلا أن أكرم وفادة ضيف الحجاج، وقربه من مجلسه قائلاً للحجاج: "ذكّرتنا حقاً واجباً ورحماً قريبة، يا غلام إئذن لإبراهيم بن طلحة، فلما دخل، قربه، حتى أجلسه على فراشه، ثم قال له يا بن طلحة: إن أبا محمد ذكّرنا ما لم نزل نعرفك به من الأدب والفضل وحسن المذهب، مع قرابة الرحم ووجوب الحق، فلا تدع حاجة من خاص أمرك وعامه إلا ذكرتها، فقال: يا أمير المؤمنين: إن أولى الأمور أن تفتتح بها الحوائج، وتُرجى بها الزلفى ما كان فيه لله عز وجل رضا، ولحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أداء، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة، وإن عندي نصيحة لا أجد بدا من ذكرها، ولا يكون البوح بها إلا وأنا خالٍ، فأخلني ترد عليك نصيحتي، قال دون أبي محمد! قال: نعم، فأشار إلى الحجاج فخرج، فلما جاوز الستر قال: قل يا ابن طلحة نصيحتك...".

ولعل سر تعجب عبد الملك من موقف ابن طلحة إسراره بالنصيحة دون الحجاج، كان مرهصاً، بما لم يتوقع ابن طلحة من عبدالملك، فيما لا يحمد عقباه له آنئذٍ، ولكن ما الذي قاله ابن طلحة مستوجباً ذلك. إنه حين قال عبدالملك: "قل يا ابن طلحة نصيحتك، فقال: الله الله يا أمير المؤمنين، إنك عهدت إلى الحجاج مع تغطرسه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعسفه وتعجرفه لبعده عن الحق، وركونه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وفيهما من فيهما، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالي المنتسبة الأخيار، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبناء الصحابة، يسومهم الخسف، ويقودهم بالعسف، ويحكم فيهم بغير السنة، ويطؤهم بطغام أهل الشام، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ولا في إزاحة باطل، ثم عن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك! فكيف بك إذا جاثاك محمد صلى الله عليه وسلم غداً للخصومة في أمته بين يدي الله تعالى؟! أما والله إنك لن تنجو هناك إلا بحجة تضمن لك النجاة، فأبق على نفسك أو دع، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته".

وقد كان رد فعل عبد الملك على ابن طلحة عنيفاً مدوياً في أول الأمر، له أثره النفسي الرهيب فيه. إذ استوى عبد الملك جالساً، وكان متكئاً، وقال: كذبت لعمر الله، ومنت (المَيْنُ هو الكذب) ولؤمت فيما جئت به، ولقد ظن بك الحجاج ظناً لم نجده فيك، وربما ظن بغير أهله، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد.

فقام ابن طلحة لا يبصر شيئاً على حد قوله، وأرسل وراءه عبد الملك لاحقاً، حين تجاوز الستر، قائلاً للحاجب: احبس هذا، وأدخل أبا محمد، فلبث ابن طلحة فترة خائفاً يترقب ملياً، لا يشك في أنهما يتحدثان في أمره هو والحجاج، ثم أذن عبد الملك لابن طلحة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالدخول فدخل، وهنا حدثت مفاجأتان حيال موقفه، إحداهما من الحجاج والأخرى من عبدالملك.

أما الحجاج، فلما كشف الستر لابن طلحة، لقيه الحجاج وهو داخل إلى عبدالملك، والحجاج خارج، فاعتنقه الأخير، وقبل ما بين عينيه، وقال له: إذا جزى الله المتآخين بفضل تواصلهما خيراً، فجزاك الله أفضل ما جزى أخاً، ووعده إن كان الأمر له لَيُعْلَيَنَّ قدره، وابن طلحة يتعجب ظاناً أنه يهزأ به؛ إذ إن الحجاج أقسم قائلاً له: "أما والله لئن سلمت لك لأَرْفَعَنَّ ناظريك، ولأَعْلِيَنَّ كعبك، وأُتْبِعَنَّ الرجال غبار قدميك، قال: فقلت في نفسي إنه يهزأ بي، ويسخر مني".

وأما عبدالملك بن مروان ـــ وهو مَنْ هو دهاءً وحكمةً ـــ فقد حدث منه ما لم يكن في حسبان ابن طلحة الخائف المتوجس، إذ لما وصل إلى عبدالملك أدناه وأجلسه في مجلسه الأول، ودار بينهما حوار يكشف عن عبر لمن يعتبر، من أخلاق الحاكم والرعية كليهما. نستشف ذلك بدءاً من مخاطبة عبدالملك لابن طلحة بقوله: "يا ابن طلحة هل أعلمت الحجاج بما جرى؟ أو شاركك أحد في نصيحتك؟ فقلت: لا والله، ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفاً، ولا أوضح يداً من الحجاج، ولو كنت محابياً أحداً بديني لكان إياه، ولكني آثرت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فقال: قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علمت أنك آثرت الله عز وجل، ولو آثرت الدنيا لكان لك في الحجاج أمل".

لقد علم عبدالملك بفراسة المؤمن، وحكمته، صدق نية ابن طلحة ودافعه إرضاءً لله ورسوله، في مناصرة الحق، ولو كان على حساب إعجابه وحفظه لدين الحجاج، فما كان من عبدالملك، مرة أخرى، بفراسة الحاكم المحنك سياسياً إلا أن عزل الحجاج عن حكم الحرمين، ليوليه حكم العراقَين المتمردين على الدولة، واللذين يحتاجان حاكماً في قسوة الحجاج وحنكته السياسية.

لكن كيف عرض عبدالملك الأمر وصوره لكل من الحجاج وابن طلحة؟!

بعد أن عزل عبدالملك الحجاج لكراهيته ولايته عليهما، وزيادة هذه الكراهية مما أخبره به ابن طلحة، أعلم الخليفة عبدالملك ابن طلحة أنه استنزل الحجاج عن الحجاز بحجة أنه استصغرها عليه، وأنه قد ولاه العراقين لما هناك من الأمور التي لا يدحضها إلاَ مثله، وأعلمه أيضاً، أنه (أي ابن طلحة) قد استدعاه (أي عبدالملك) ليطلب منه استزادة الحجاج حكم العراق، ليلزمه بموقفٍ مشرِّفٍ حيال ابن طلحة بأمر النصيحة، ليظل محافظاً على جميله وحسن ثنائه عليه. وقد أثمر سلوك عبدالملك الذكي الحكيم ما يمكن أن نتلمسه من قول ابن طلحة: "فخرجت من عنده (أي عبدالملك) مع الحجاج، وأكرمني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أضعاف إكرامه، واستدللت على مكارم عبدالملك وأخلاقه، واعترافه بالحق، وتلطفه في الأمور".

١٥-نجاح الحجاج في المجال الاقتصادي

لم يكن نجاح الحجاج ولاءً للبيت الأموي، مقصوراً على الجانب السياسي فحسب، بل واكبه نجاح اقتصادي، ورؤية شاملها في كليهما كثير من التجاوزات التي اختلف المؤرخون حيالها. ومناشطه في المجال الاقتصادي والزراعي كثيرة.

فمن أخذه بأسباب العمران الاقتصادي والزراعي؛ إنشاؤه مدينة واسط، وكان من أسباب إنشائه هذه المدينة "رغبته في إصلاح منطقة المستنقعات بين دجلة والفرات، وهي التي عُرفت باسم البطيحة، وتحويلها إلى أرض منتجة لتنمية موارد الدولة. وقد بدأ بإنشاء مقر لحكومته وسوره بالقصب، ثم منح بعض جهات البطيحة في شكل إقطاعات لرجاله وأعوانه ليعملوا على استصلاحها. فتكاثر العمران من حول واسط وتغير شكل الحياة فيها بفعل هذه الجهود الإصلاحية الإنتاجية".

ونتبين رجاحة رؤى الحجاج في أمور تزيد من المدخول الاقتصادي؛ حين تبين له "أن الإصلاح الزراعي يحتاج إلى الحيوانات التي قل عددها عندئذٍ، فواجه هذا بأمرين: أحدهما أنه حظر ذبح البقر مدة من الزمن، حتى يمكن الإفادة من جهدها في الزراعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحرث، ومن نتاجها من العجول والأبقار في زيادة الثروة الحيوانية، وثانيهما أنه استورد الجاموس من بلاد الهند للمساعدة في مواجهة الاحتياجات المحلية".

ولم تتخل عن الحجاج شدته وحزمه، وهو يتخذ ما يراه صالحاً من وجهة نظره ـــ حتى في الأمور الاقتصادية ـــ ووصلت به جرأته أنه "كان أوّل من خالف القواعد الخاصة بالخراج والجزية حيال من دخلوا حديثاً في الإسلام من غير العرب. وذلك أن أهل البلاد الأصليين كانوا يقيمون في القرى للزرع والحرث، فمن اعتنق منهم الإسلام رفعت الجزية عن رأسه، وكان بعد إسلامه يهجر القرية التي كان يعمل زارعاً فيها، ويهرع إلى المدن لكي يلتحق بالجيش الإسلامي ويكتب في سجل العطاء. وبدهي أن هذه الأرض التي كانت تترك ويرحل عنها أصحابها بعد إسلامهم تصبح خاضعة للظروف، فقد يستأجرها الغير، وقد تترك من غير زراعة، وإذا استأجرها الغير، ففي الغالب أن الإيجار يكون أقل من الإيجار القديم".

ولما رأى الحجاج جراء ذلك قلة موارد الدولة، من الأموال التي تجبى من تلك الأقاليم، بوصفها أثراً لاعتناق أهلها الإسلام؛ "هاله نقص الأموال من خزانة الدولة، ففرض الجزية على المسلمين الجدد، وألزمهم بالعودة إلى قراهم، وأعاد وضع الخراج على الأرض التي أسلم أصحابها كما كان من قبل إسلامهم، وقال لهم حينما أمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإعادتهم إلى قراهم: أنتم علوج وعجم، وقراكم أولى بكم، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجهه إليها".

وإلى سيرة الحجاج في هذا الجانب وآثاره السلبية، يزيد معارفنا د. محمد حلمي ـــ رحمه الله ـــ بوصفه محللاً تاريخياً، حين يضيف قائلاً: "ولقد كان من أثر شدة الحجاج في جمع الضرائب التي اتجه إلى تثبيتها على الأراضي الزراعية، أن ترك كثير من عمال الفلاحة ميدان الإنتاج الزراعي وهاجروا إلى الأمصار والمدن، فقرر الحجاج إعادة تهجير هؤلاء الفلاحين إلى قراهم، وخشي ألا ينفذ قراره تنفيذاً دقيقاً، فوسم كلا منهم على يده باسم القرية التي حُددت له، وهدد من كان يوجد في غير قريته. وكان لهذه الخطوة القاسية جانبها الاجتماعي أيضاً، ذلك أن تجمع هؤلاء الفلاحين في المدن والأمصار، وعجزهم في كثير من الحالات عن الحصول على مورد رزق ثابت حول كثيراً منهم إلى عامل من عوامل الثورة والاضطراب فقضى الحجاج على هذا الخطر".

١٦-الحجاج وأم البنين

للحجاج موقف مع أم البنين بنت عبدالعزيز، أخت الخليفة عمر بن عبدالعزيز، اللذين كانا عبر حكم الحجاج يتوجسان منه ريبة. والموقف الذي نسوقه تبدأ وقائعه، حين دخل الحجاج ذات يوم على الوليد بن عبدالملك وكان في غلالة رقيقة يلبسها وكان الحجاج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلبس درعاً وكنانة وقوساً عربية، وأطال الجلوس عنده، فبينما هو يحادثه إذ جاءت جارية فأسرَّت له حديثاً ثم انصرفت، فقال الوليد للحجاج: أتدري ما قالت هذه ياأبا محمد؟ فقال: لا والله، قال: بعثتها إلي ابنة عمي أم البنين بنت عبدالعزيز تقول: ما مجالستك هذا الأعرابي المستلئم (أي اللابس اللأمة وهي السلاح الكامل) في السلاح وأنت في غلالة! فأرسلت إليها: أنه الحجاج، فراعها ذلك وقالت: والله ما أحب أن يخلو بك، وقد قتل الخلق.

فما كان موقف الحجاج منها؟! لقد قال الحجاج للوليد: "دع عنك يا أمير المؤمنين مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة، فلا تطلعُهنَّ على سرك، ولا مكايدة عدوك، ولا تطعهن في غير أنفسهن، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن، وإياك ومشاورتهن في الأمور، فإن رأيهن أفن، وعزمهن إلى وهن، وأكفف عليهن من أبصارهن بحجبك، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها، ولا تطل الجلوس معهن، فإن ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك، وأكثر الحجاج من ذلك ـــ ثم نهض فخرج".

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، إذ دخل الوليد على أم البنين، فأخبرها بما قاله الحجاج في حقها، فقالت: أحب أن تأمره غداً بالتسليم عليّ قال: أفعل، فلما غدا الحجاج على الوليد قال له: يا أبا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد، صِرْ إلى أم البنين فسلم عليها، فقال: أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين، قال: لا بد منه، فمضى الحجاج.

ولما وصل الحجاج إلى أم البنين أرادت أن تكسر كبرياءه في لحظة حساب مرة، إذ حجبته طويلاً لتذله ثم أذنت له، وتركته قائماً، ولم تأذن له في الجلوس، ثم قالت: إيه يا حجاج! أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث! أما والله لولا علمه أنك شر خليقته ما ابتلاك برمي الكعبة، وقتل أهل الحجاز، وقتل ابن ذات النطاقين، وأول مولود في الإسلام. فأما ابن الأشعث فقد ـــ والله ـــ والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبدالملك، فأغاثك بأهل الشام، وأنت في أضيق من القرن، فأظلتك رماحهم، وأنجاك كفاحهم... وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فإنه غير قابل منك، ولا مصغ إلى نصيحتك، وإنْ كُنَّ لينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أولاه بالقبول منك، والأخذ عنك، وإن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك.

وظلت أم البنين تكيل إليه المناقص حتى ذكرته بقول الشاعر الذي ينتقص من موقفه مع المرأة الخارجية المسماة غزالة الحرورية، إذ قالت له: "قاتل الله الشاعر ـــ وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك ـــ حيث يقول:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أســـد عليّ وفي الحروب نعامـــة فتخاء تفزع من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحَيْ طائرِ!

ثم قالت لجواريها: أخرجْنَه عنّي وقد كان تأثير كلام أم البنين على الحجاج عنيفاً، يظهر ذلك من خلال حواره مع الوليد. إذ دخل على الوليد من فوره، فقال: يا أبا محمد، ما كنت فيه؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إليّ من ظهرها، فضحك الوليد حتى فحص برجليه (ضرب بهما الأرض من كثرة ضحكه)، ثم قال: يا أبا محمد إنها ابنة عبدالعزيز. وهذا كلام له مغزاه الذي يفهمه الحجاج. فما كان أكره على قلب أم البنين وأخيها عمر ابني عبد العزيز من الحجاج.

١٧-الحجاج وليلى الأخيلية

وأما عن الموقف الآخر من شهيرات العرب المعليات من قدر الحجاج، فهو موقف الشاعرة المشهورة ليلى الأخيلية، إذ طلبت يوماً أن تدخل عليه في وجود صديقه عنبسة بن سعيد بن العاص فقال الحجاج للحاجب: أدخلها، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه... فجاءت حتى قعدت بين يديه، فنظرت، فإذا هي امرأة قد أسنت، حسنة الخلق، ومعها جاريتان لها... فسألها الحجاج عن نسبها، فأنتسبت له، فقال لها، ياليلى ما أتى بك؟ قالت: إخلاف النجوم، وقلة الغيوم، وكلب البرد وشدة الجهد، وكنت لنا الرِّفد فقال لها:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صفي لنا الفجاج، فقالت: الفجاج مغبرة والأرض مقشعرة، والمبرك معتلّ، وذو العيال مختل، والهالك للقلّ، والناس مسنتون، ورحمة الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة ، مبلطة، لم تدع لنا هبعاً ولا ربعاً، ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال، ومزقت الرجال، وأهلكت العيال.

وأرادت ليلى الأخيلية أن تتقرب بشعرها إلى قلب الحجاج مادحة إياه، فقالت: "إني قلت في الأمير قولاً، قال: هاتي، فأنشأت تقول:

أحجاج لا يفلل سلاحك، إنما ال ـــمنايا بكف الله حيث تراهـــا

أحجـــاج لا تعطي العصاة مُناهم ولا الله يعطي للعصاة مناهـــا

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضـــة تتبع أقصى دائـــها فشفـــاها

شفاها من الداء العضال الذي بها غـــلام إذا هـــز القناة سقاها

سقاهـــا فروَّاها بشـــرب سجـــاله دماء رجال حيث مال حشاها

إذا سمـــع الحجـــاج رِزّ كتيبـــة أعد لها قبـــل النزول قراها

أعد لهـــا مسمومـــة فارســـــية بأيدي رجال يحلبون صراها

فمـــا ولد الأبكـــار والعون مثله ببحر ولا أرض يجف ثراها

فلما قالت هذا البيت قال الحجاج: قاتلها الله! ما أصاب صفتي شاعر منذ دخلت العراق غيرها، ثم ألتفت إليها فقال: حسبُك،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالت: إني قلت أكثر من هذا، قال: حسبك ويحكِ حسبُكِ، ثم قال: يا غلام أذهب بها إلى فلان فقل له: اقطع لسانها، فذهب بها فقال له: يقول لك الأمير: اقطع لسانها، فأمر بإحضار الحجام، فقالت له: ثكلتك أمك! أما سمعت ما قال؟ إنما أمرك بقطع لساني بالبر والصلة، فبعث إليه يستثبته، فاستشاط الحجاج غضباً، وهم بقطع لسانه، وقال: ردها، فلما دخلت عليه قالت: كاد ــ وأمانة الله، أيها الأمير ــ يقطع مقولي، ثم أنشأت تقول:

حجاج أنت الذي مــا فوقــه

أحــد إلا الخليفة والمستغفَر الصمــدُ

حجاج أنت شهاب الحرب إنْ لفحت

وأنت للناس نور في الدُّجا يقد

١٨-فتوحات الحجاج

عاود الحجاج سياسة الفتح، وأرسل الجيوش المتتابعة، واختار لها القادة الأكفاء، مثل قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي ولاه الحجاج خراسان سنة (٨٥هـ = ٧٠٤م)، وعهد إليه بمواصلة الفتح وحركة الجهاد؛ فأبلى بلاء حسنا، ونجح في فتح العديد من النواحي والممالك والمدن الحصينة، مثل: بلخ، وبيكند، وبخارى، وشومان، وكش،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والطالقان، وخوارزم، وكاشان، وفرغانه، والشاس، وكاشغر الواقعة على حدود الصين المتاخمة لإقليم ما وراء النهر وانتشر الإسلام في هذه المناطق وأصبح كثير من مدنها مراكز هامة للحضارة الإسلامية مثل بخارى وسمرقند.

وبعث الحجاج بابن عمه محمد بن القاسم الثقفي لفتح بلاد السند، وكان شابا صغير السن لا يتجاوز العشرين من عمره، ولكنه كان قائدا عظيما موفور القدرة، نجح خلال فترة قصيرة لا تزيد عن خمس سنوات (٨٩-٩٥هـ=707-713 م) في أن يفتح مدن وادي السند، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في فتح قنوج أعظم إمارات الهند التي كانت تمتد بين السند والبنغال فأجابه إلى طلبه وشجعه على المضي، وكتب إليه أن "سر فأنت أمير ما افتتحته"، وكتب إلى قتيبة بن مسلم عامله على خراسان يقول له: "أيكما سبق إلى الصين فهو عامل عليها."

وكان الحجاج يتابع سير حملات قادته يوفر لها ما تحتاجه من مؤن وإمدادات، و لم يبخل على قادتها بالنصح والإرشاد؛ حتى حققت هذه النتائج العظيمة ووصلت رايات الإسلام إلى حدود الصين والهند.

١٩-إصلاحات الحجاج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الفترة التي قضاها الحجاج في ولايته على العراق قام بجهود إصلاحية عظيمة، و لم تشغله الفترة الأولى من ولايته عن القيام بها، وشملت هذه الإصلاحات النواحي الاجتماعية والصحية والإدارية وغيرها؛ فأمر بعدم النوح على الموتى في البيوت، وبقتل الكلاب الضالة، ومنع التبول أو التغوط في الأماكن العامة، ومنع بيع الخمور، وأمر بإهراق ما يوجد منها، وعندما قدم إلى العراق لم يكن لأنهاره جسور فأمر ببنائها، وأنشأ عدة صهاريج بالقرب من البصرة لتخزين مياه الأمطار وتجميعها لتوفير مياه الشرب لأهل المواسم والقوافل، وكان يأمر بحفر الآبار في المناطق المقطوعة لتوفير مياه الشرب للمسافرين.

ومن أعماله الكبيرة بناء مدينة واسط بين الكوفة والبصرة، واختار لها مكانا مناسبا، وشرع في بنائها سنة (٨٣هـ=702 م)، واستغرق بناؤها ثلاث سنوات، واتخذها مقرا لحكمه.

وكان الحجاج يدقق في اختيار ولاته وعماله، ويختارهم من ذوي القدرة والكفاءة، ويراقب أعمالهم، ويمنع تجاوزاتهم على الناس، وقد أسفرت سياسته الحازمة عن إقرار الأمن الداخلي والضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطرق.

ويذكر التاريخ للحجاج أنه ساعد في تعريب الدواوين، وفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإصلاح النقدي للعملة، وضبط معيارها، وإصلاح حال الزراعة في العراق بحفر الأنهار والقنوات، وإحياء الأرض الزراعية، واهتم بالفلاحين، وأقرضهم، ووفر لهم الحيوانات التي تقوم بمهمة الحرث؛ وذلك ليعينهم على الاستمرار في الزراعة.

٢٠-الحجاج وتنقيط المصحف

ومن أجلِّ الأعمال التي تنسب إلى الحجاج اهتمامه بنقط حروف المصحف وإعجامه بوضع علامات الإعراب على كلماته، وذلك بعد أن انتشر التصحيف؛ فقام "نصر بن عاصم" بهذه المهمة العظيمة، ونُسب إليه تجزئه القرآن، ووضع إشارات تدل على نصف القرآن وثلثه وربعه وخمسه، ورغّب في أن يعتمد الناس على قراءة واحدة، وأخذ الناس بقراءة عثمان بن عفان، وترك غيرها من القراءات، وكتب مصاحف عديدة موحدة وبعث بها إلى الأمصار.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢١- الحجاج و الحسن البصري

للحسن البصري مواقفه الشجاعة الباسلة في وجه الحجاج، تشهد له بعلوّ كعبه، وسبقه في هذا الأمر، فقد تصدّى لطغيانه، وجهر بين العامة بسوء أفعاله، وصدع في وجهه بكلمة الحق والصدق. ولا أدلّ على ذلك من موقفه القوي الشجاع حين بنى الحجاج بناءً في واسط – وهي مدينة متوسطة بين البصرة والكوفة – ، ونادى الحجاج الناس أن يخرجوا لينظروا إلى روعة البناء، فسارع الحسن البصري وخرج في وسط الجموع الغفيرة وهم يطوفون بهذه البناية، فوقف فيهم خطيباً يعظ الناس ويقلل الدنيا في أعينهم، فقال: لقد نظرنا فيما ابتنى أخبث الأخبثين، فوجدنا أنّ فرعون شيّد أعظم مما شيَّد، وبنى أعلى مما بنى، ثم أهلك الله فرعون، وأتى على ما بنى وشيّد، ليت الحجاج يعلم أنّ أهل السماء قد مقتوه، وأن أهل الأرض قد غرّوه، فلما سمع الحجاج مقالة الحسن البصري امتقع لونه، وخرس لسانه، وغاص في جلده، ولم يتكلّم ببنت شفة، غير أنه اقتصر على قوله:

حسبك يا أبا سعيد . . . حسبك.

فرد عليه الحسن البصري بثبات جنان، ورباطة جأش: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيّنه للناس، ولا يكتمونه.

ولم يملك الحجاج أن يفعل للحسن شيئاً وانصرف، وفي اليوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التالي عاتب جنده وحراسه، ووبّخهم، وعنّفهم قائلاً لهم: تبّاً لكم وسحقاً! يقوم عبد من عبيد أهل البصرة، ويقول فينا ما شاء أن يقول، ثم لا يجد فيكم من يرده أو ينكر عليه، والله لأسقينّكم من دمه يا معشر الجبناء.

واستدعي الحسن لينكّل به الحجاج في وسط حرسه وجنوده، وجاء الحسن، ولما رأى النّطع والسيف والسيّاف دعا ربه أن يكفيه شرّ الحجاج، وأن يجعل نقمته برداً وسلاماً، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم الخليل u ، فدخل الحسن على الحجاج، ولم يعبأ بما رأى، ولم يهزّه منظر السيف والنّطع والسيّاف، بل كان في عزّة المؤمن، ووقار الداعي إلى الله، فهابه الحجاج، وأقبل عليه يرحب به، ويدنيه من مجلسه، ويوسّع له، هذا ما حدث في وسط دهشة واستغراب الحرس والجنود.

وطفق الحجاج يسأل الحسن عن بعض أمور الدين، والحسن يجيبه عن كل مسألة بثقة العالم الرباني، لا يتتعتع، ولا يهتزّ، حتى انفضّ المجلس، وأحسن الحجاج للحسن، وطيّبه(١).

قال ميمون بن مهران: بعث الحجاج إلى الحسن وقد هم به، فلما قام بين يديه قال: يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال:

(١) سير أعلام التابعين، ص١٣-١٥. وانظر: سير أعلام النبلاء، ٥٦٣/٤-٥٨٨، والطبقات الكبرى، ١٥٧/٧-١٧٧، وتهذيب الكمال، ١٠٢/٦-١٢٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثير، قال: فأين هم ؟ قال: ماتوا قال: فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن.

وقال أيوب السختياني: إن الحجاج أراد قتل الحسن مرارا فعصمه الله منه، وقد ذكر له معه مناظرات، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك، وإنما خرج معهم مكرها كما قدمنا، وكان الحسن يقول: إنما هو نقمة فلا تقابل نقمة الله بالسيف، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع.

٢٢- الحجاج و سعيد بن المسيّب

الحجاج كان لا يقف أمامه أحد لظلمه وجبروته، فقد قيل لسعيد بن المسيّب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك، ولا يهيجك، ولا يؤذيك؟! قال سعيد: لا أدري، غير أن صلّى ذات يوم مع أبيه صلاة، فجعل لا يتمّ ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفّاً من حصباء،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فحصبته بها. قال الحجاج: فما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة.

ولما عقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان بالعهد، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان فبايع الناس إلا سعيد بن المسيّب، فضربه هشام [أمير المدينة وقتذاك] ستين سوطاً، وطاف به في تبان من شعر حتى بلغ به رأس الثنية، فلما كروا به قال سعيد: أين تكرّون بي؟ قالوا: إلى السجن. قال سعيد: والله لولا أنني ظننته الصلب ما لبست هذا التبان أبداً. (أي حتى لا تكشف عورته إذا قتل) فردوه إلى السجن فحبسه. وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه، فكتب إليه عبدالملك يلومه فيما صنع بسعيد وقال: سعيد كان والله أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه، وإنا لنعلم ما عنده خلاف(١).

مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره: فروى أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن كثير ابن أخي إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه: أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجنب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلي شيئا - فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف ردائه - وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه سعيد فقال له: يا سارق يا خائن، تصلي هذه

(١) سير أعلام التابعين، ص٥٥، ٥٦، وانظر: سير أعلام النبلاء، ٢١٧/٤-٢٤٦، برقم ٨٨، والطبقات الكبرى، ٨٩/٥-١٠٩، برقم ٦٨٣، وتهذيب الكمال، ٦٦/١١-٧٥، برقم ٢٣٥٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصلاة، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك.

فلم يرد عليه ثم مضى الحجاج إلى الحج، ثم رجع فعاد إلى الشام، ثم جاء نائبا على الحجاز.

فلما قتل ابن الزبير كر راجعا إلى المدينة نائبا عليها، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب، فقصده الحجاج فخشي الناس على سعيد منه، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له: أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم ! قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيرا، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك.

ثم قام ومضى.

٢٣- موقف الحجاج مع سعيد بن جبير

نجّى الله سعيد بن جبير من هذه الورطة، فكان ممن فرّ واختفى عن أعين الحجاج عشر سنوات، ولكن قدر الله لابدّ نافذ، فعندما تولّى خالد بن عبد الله القسري ولاية مكة من قبل الحجاج، وكان سيّئ السيرة، فخاف أصحاب سعيد على سعيد، فألحّوا عليه بالفرار والخروج من مكة، ولكن سعيداً أبى الخروج، وقال لأصحابه: والله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد استحييت من الله مما أفرّ، ولا مفرّ من قدر الله.

وكان والي المدينة من قبل الحجاج عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز، فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود، فتعلّم منه خالد بن عبد الله القسري، فعيّن من عنده من مكة: سعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد بن جبر، وعمرو بن دينار، وطلق بن حبيب، فبعث خالد بهؤلاء إلى الحجاج، ثم عفا عن عطاء، وعمرو بن دينار؛ لأنهما من أهل مكة، وبعث بأولئك الثلاثة، فأما طلق فمات في الطريق قبل أن يصل، وأما مجاهد فحبس، فمازال في السجن حتى مات الحجاج، وأما سعيد بن جبير ذلك العابد القانت التقي الورع الطاهر، وصل مدينة واسط وهو مقيّد في الأغلال، فأدخلوه على الحجاج، وهو ثابت القلب، هادئ النفس، رابط الجأش، قوي الحِجَاج، فصيح اللسان، لم يتزعزع، ولم يهن، راسخ رسوخ الجبال، ودار بينهما حوار طويل يكشف عن عظمة الرجل، وحسن توكله على ربه، وقوّة إيمانه، وصبره، ويقينه، رجل فريد لم تلن له قناة، ولم يفتّ في عضده تهديد أو وعيد، فأقبل على عدوّه بما يسوؤه وهو في قبضته، والسيف مصلت على رقبته، فلم يعبأ به، وهو يعلم أنه مقتول لا محالة.

وعن الحسن قال: لما أُتي الحجاج بسعيد بن جبير، قال: أنت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشقي ابن كسير؟ قال: بل أنا سعيد بن جبير، قال: بل أنت الشقي ابن كسير، قال: كانت أمي أعرف باسمي منك، قال: ما تقول في محمدٍ؟ قال: تعني النبي r، قال: نعم، قال: سيد ولد آدم؛ النبي المصطفى خير من بقي، وخير من مضى، قال: فما تقول في أبي بكر؟ قال: الصديق؛ خليفة الله، مضى حميداً، وعاش سعيداً، مضى على منهاج نبيه r لم يغير، ولم يبدل، قال: فما تقول في عمر؟ قال: عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله، مضى حميداً على منهاج صاحبيه، لم يغيّر، ولم يبدّل، قال: ما تقول في عثمان؟ قال: المقتول ظلماً، المجهّز جيش العسرة، الحافر بئر رومة، المشتري بيته في الجنة، صهر رسول الله r على ابنتيه، زوَّجه النبي r بوحي من السماء، قال: فما تقول في علي؟ قال: ابن عم رسول الله r، وأول من أسلم؛ زوج فاطمة، وأبو الحسن والحسين، قال: فما تقول في معاوية؟ قال: أنت أعلم ونفسك، قال: بت بعلمك، قال: إذاً يسوؤك ولا يسرّك، قال: بت بعلمك، قال: اعفني، قال: لا عفا الله عني إن أعفيتك، قال: إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله – تعالى –، ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة، وهي تقحمك الهلكة، وسترد غداً فتعلم، قال: أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك، ولا أقتلها أحداً بعدك، قال: إذاً تفسد عليّ دنياي، وأفسد عليك آخرتك، قال: يا غلام، السيف والنطع، قال: فلما ولّى ضحك، قال: أليس قد بلغني أنك لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضحك؟ قال: وقد كان ذلك، قال: فما أضحكك عند القتل؟ قال: من جرأتك على الله، ومن حلم الله عنك، قال: يا غلام اقتله، فاستقبل القبلة وقال: **[وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]**، فصرف وجهه عن القبلة، قال: **[فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ]**، قال: اضرب به الأرض، قال: **[مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى]**، قال: اذبح عدو الله، فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم.

وقبل أن يترل السيف على رقبة سعيد دعا ربه قائلاً: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي[1].

وسقط رأس سعيد على الأرض، الرأس التي كانت تحوي علوماً كثيرة، وتضم تفسير كلام رب العالمين، سقطت على الأرض، وذكر أهل التاريخ أن رأسه هلّلت ثلاث مرات: لا إله إلا الله، يفصح في الأوليين، و لم يفصح في الثالثة.

ومات سعيد الإنسان والجسد، ولكن لم تمت ذكراه، و لم يمت اسمه وعلمه وفقهه، ومات أيضاً الحجاج بعده بقليل شرّ ميتة، فاشتدّت عليه آلام المرض، وغصص الموت، فكان يهبّ مذعوراً وهو يقول: ما لي ولسعيد بن جبير، ويكرّرها، حتى أهلكه الله، وخلّص العباد والبلاد من شرّه وطغيانه، ورؤي الحجاج في المنام، فقيل له: ما

---

[1] شذرات الذهب (٣٨٦/١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعل الله بك؟ فقال: قتلني الله بكل امرئ قتلة واحدة وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة(١).

٢٤- ابن سيرين يذب عن الحجاج ويدفع غيبته

سمع ابن سيرين رجلاً يسبّ الحجاج، فأقبل عليه فقال له: مهْ أيها الرجل، فإنك لو قد وافيت الآخرة، كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج، واعلم أن الله تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ، إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه، فسوف يأخذ للحجاج ممن ظلمه، فلا تشغلن نفسك بسب أحد(٢).

٢٥- مواقفه مع محمد ابن الحنفية

عن الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية عن أبيه قال: لما صار محمد بن علي إلى الشعب سنة اثنتين وسبعين، وابن الزبير لم يقتل، والحجاج محاصره، أرسل إليه أن يبايع لعبد الملك، فقال ابن الحنفية: قد عرفت مقامي بمكة، وشخوصي إلى الطائف وإلى الشام، كل هذا

(١) سير أعلام التابعين، ص٧٠-٧٢. انظر: المراجع السابقة.
(٢) سير أعلام التابعين، ص ١١٤، وانظر: سير أعلام النبلاء، ٦٠٦/٤-٦٢٢، برقم ٢٤٦، وحلية الأولياء، ٢٩٨/٢-٣٢٠، برقم ١٩٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إباءً مني أن أبايع ابن الزبير أو عبد الملك، حتى يجتمع الناس على أحدهما، وأنا رجل ليس عندي خلاف، لما رأيت الناس اختلفوا اعتزلتهم حتى يجتمعوا، فأويت إلى أعظم بلاد الله حرمة، يأمن فيه الطير، فأساء ابن الزبير جواري، فتحولت إلى الشام، فكره عبد الملك قربي، فتحوّلت إلى الحرم، فإن يقتل ابن الزبير، ويجتمع الناس على عبد الملك أبايعك، فأبى الحجاج أن يرضى بذلك منه حتى يبايع لعبد الملك، فأبى ذلك ابن الحنفية، وأبى الحجاج أن يقرّه على ذلك، فلم يزل محمد يدافعه حتى قتل ابن الزبير.

فلما اجتمع الناس على عبد الملك، وبايع ابن عمر، قال ابن عمر لابن الحنفية: ما بقي شيء فبايع، فكتب ابن الحنفية إلى عبد الملك:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من محمد بن علي أما بعد، فإني لما رأيت الأمة قد اختلفت اعتزلتهم، فلما أفضى هذا الأمر إليك، وبايعك الناس كنت كرجل منهم، أدخل في صالح ما دخلوا فيه، فقد بايعتك، وبايعت الحجاج لك، وبعثت إليك ببيعتي، ورأيت الناس قد اجتمعوا عليك، ونحن نحب أن تؤمّننا، وتعطينا ميثاقاً على الوفاء، فإن الغدر لا خير فيه، فإن أبيت فإن أرض الله واسعة.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب قال قبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع: ما لك عليه سبيل، ولو أراد فتقاً لقدر عليه، ولقد سلّم وبايع،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنرى أن تكتب إليه بالعهد والميثاق بالأمان له، والعهد لأصحابه. ففعل فكتب إليه عبد الملك: إنك عندنا محمود، أنت أحب وأقرب بنا رحماً من ابن الزبير، فلك العهد والميثاق وذمة رسوله أن لا تهاج، ولا أحد من أصحابك بشيء تكرهه، ارجع إلى بلدك، واذهب حيث شئت، ولست أدع صلتك وعونك ما حييت، وكتب إلى الحجاج يأمره بحسن جواره وإكرامه، فرجع ابن الحنفية إلى المدينة.

وعن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: وفدت مع أبان بن عثمان على عبد الملك بن مروان وعنده ابن الحنفية، فدعا عبدالملك بسيف النبي r ، فأتي به، ودعا بصيقل فنظر إليه فقال: ما رأيت حديدة قط أجود منها. قال عبد الملك: ولا والله ما أرى الناس مثل صاحبها، يا محمد هبْ لي هذا السيف، فقال محمد: أينا رأيت أحقّ به فليأخذه. قال عبد الملك: إن كان لك قرابة، فلكلٍّ قرابة وحق، قال: فأعطاه محمدٌ عبدَ الملك، وقال: يا أمير المؤمنين إن هذا – يعني الحجاج وهو عنده – قد آذاني، واستخفّ بحقي، ولو كانت خمسة دراهم أرسل إليّ فيها، فقال عبد الملك: لا إمرة لك عليه. فلما ولّى محمد، قال عبد الملك للحجاج: أدركه فسُلّ سخيمته. فأدركه فقال: إن أمير المؤمنين أرسلني إليك لأسلّ سخيمتك، ولا مرحباً بشيء ساءك. فقال محمد. ويحك يا حجاج، اتقّ الله، واحذر الله، ما من صباح يصبحه العباد إلا لله في كل عبد من عباده ثلاثمائة وستون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لحظة، إن أخذ أخذ بمقدرة، وإن عفا عفا بحلم، فاحذر الله. فقال له الحجاج: لا تسألني شيئاً إلا أعطيتكه، فقال له محمد: وتفعل؟ قال له الحجاج: نعم. قال: فإني أسألك صَرم الدهر. قال فذكر الحجاج ذلك لعبد الملك، فأرسل عبد الملك إلى رأس الجالوت، فذكر له الذي قال محمد، وقال: إن رجلاً منا ذكر حديثاً ما سمعناه إلا منه. وأخبره بقول محمد، فقال رأس الجالوت: ما خرجت هذه الكلمة إلا من بيت نبوة.

وعن إبراهيم أن الحجاج أراد أن يضع رجله على المقام، فزجره ابن الحنفية ونهاه(١).

٢٦- شقيق بن سلمة يدعو على الحجاج ثم يعتذر، ويدفع غيبته

عن عاصم قال: ما رأيت أبا وائل ملتفتاً في صلاة، ولا في غيرها، ولا سمعته يسب دابة قط، إلا أنه ذكر الحجاج يوماً فقال: اللهم أطعم الحجاج من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع. ثم

(١) سير أعلام التابعين، ص٢٢٤، ٢٢٧، وانظر: سير أعلام النبلاء، ١١٠/٤-١٢٨، برقم ٣٦، والطبقات الكبرى، ٦٧/٥-٨٧، برقم ٦٨٠، وتهذيب الكمال، ١٤٧/٢٦-١٥٢، برقم ٥٤٨٤، وحلية الأولياء، ٢٠٤/٣-٢١٠، برقم ٢٣٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تداركها، فقال: إن كان ذاك أحبَّ إليك، فقلت: وتستثني في الحجاج؟ فقال: نعدها ذنباً.

وعن الزبرقان قال: كنت عند أبي وائل، فجعلت أسبّ الحجاج وأذكر مساوئه، فقال: لا تسبه، وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي، فغفر له.

وعن ابن عون قال: ذهب بي رجل إلى أبي وائل فقال: يا أبا وائل أي شيء تشهد على الحجاج؟ قال: أتأمرني أن أحكم على الله؟

وعن عاصم عن أبي وائل قال: أرسل إليّ الحجاج فأتيته فقال: ما اسمك؟ قلت: ما أرسل إليَّ الأمير إلا وقد عرف اسمي. قال: متى هبطت هذا البلد؟ قلت: ليالي هبطه أهله. قال: كأين تقرأ من القرآن؟ قال: قلت: أقرأ منه ما إن اتبعته كفاني، قال: إنا نريد أن نستعملك على بعض عملنا. قال: قلت: على أي عمل الأمير؟ قال: السلسلة. قال: قلت: إن السلسلة لا يُصلحها إلا رجال يقومون عليها، ويعملون عليها، فإن تستعن بي تستعن بشيخ أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء، وإن يعفني الأمير فهو أحبَ إلي، وإن يقحمني الأمير أقتحم، وايم الله، إني لأتعارَ من الليل فأذكر الأمير فما يأتيني النوم حتى أصبح، ولست للأمير على عمل، فكيف إذا كنت للأمير على عمل؟ وايم الله، ما أعلم الناس هابوا أميراً قط هيبتهم إياك أيها الأمير. قال: فأعجبه ما قلت. قال: أعد عليّ، فأعدت عليه فقال: أما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قولك: إن يعفني الأمير فهو أحبّ إليَّ، وإن يُقحمني أقتحم، فإنا إن لا نجد غيرك نقحمك، وإن نجد غيرك لا نقحمك، وأما قولك: إن الناس لم يهابوا أميراً قط هيبتهم إياي، فإني والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرؤ على دم مني، ولقد ركبت أموراً كان هابها الناس، فأخرج لي بها. انطلق يرحمك الله. قال شقيق: فخرجت من عنده وعدلت من الطريق عمداً كأني لا أنظر.

قال الحجاج: أرشدوا الشيخ، أرشدوا الشيخ. حتى جاء إنسان فأخذ بيدي، فأخرجني، فلم أعد إليه بعد(١).

٢٧- مواقفه مع سالم بن عبد الله بن عمر

عن عطاء بن السائب، قال: دفع الحجاج إلى سالم بن عبد الله سيفاً، وأمره بقتل رجل، فقال سالم للرجل: أمسلم أنت؟ قال: نعم، امض لما أمرت به. قال: فصليت اليوم صلاة الصبح؟ قال: نعم، قال: فرجع إلى الحجاج، فرمى إليه السيف، وقال: إنه ذكر أنه مسلم، وأنه

(١) سير أعلام التابعين، ص٣١٧، ٣٢٠، وانظر: سير أعلام النبلاء، ١٦١/٤-١٦٦، برقم ٥٩، والطبقات الكبرى، ١٥٤/٦-١٥٩، برقم ١٩٨٤، وتهذيب الكمال، ٥٤٨/١٢-٥٥٤، برقم ٢٧٦٧، وحلية الأولياء، ١٠٦/٤-١٢٠، برقم ٢٥٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قد صلَّى صلاة الصبح، فهو في ذمّة الله، وإن رسول الله r قال: ((من صلّى صلاة الصبح فهو في ذمّة الله))(١). قال الحجاج: لسنا نقتله على صلاة الصبح، ولكنه ممن أعان على قتل عثمان، فقال سالم: هاهنا من هو أولى بعثمان مني، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال: ما صنع سالم؟ قالوا: صنع كذا وكذا، فقال ابن عمر: مكيس(٢) مكيس(٣)].

٢٨- الحجاج وشيخٌ كبير

قال الأصمعي: سمعت عمي يقول: بلغني أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم المدينة لقي شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة، فقال: بشر حال، قتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الحجاج: ومن قتله ؟ فقال: الفاجر اللعين

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، ٣٨١/٨، برقم ٨١٨٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٣٤٥.

(2) الكَيْسُ: بوزن الكيل ضد الحمق، والرجل كَيِّسٌ مُكَيَّسٌ: أي ظريف. [مختار الصحاح، ٥٨٦).

(٣) سير أعلام التابعين، ص ٣٨١. وانظر: سير أعلام النبلاء، ٤٥٧/٤-٤٦٦، برقم ١٧٦، وتهذيب الكمال،١٤٥/١٠-١٥٤،برقم ٢١٤٩،وحلية الأولياء،٢٢١/٢-٢٢٦، برقم ١٧٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجاج عليه لعائن الله

وتهلكته، من قليل المراقبة لله.

فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال: أيها الشيخ ! أتعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال: نعم ! فلا عرفه الله خيرا ولا وقاه ضرا.

فكشف الحجاج عن لثامه وقال: ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة.

فلما تحقق الشيخ الجد قال: والله إن هذا لهو العجب يا حجاج، لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة، أنا العباس بن أبي داود، أصرع كل يوم خمس مرات، فقال الحجاج: انطلق فلا شفى الله الابعد من جنونه ولا عافاه.

٢٩- الحجاج وعزة الأعرابي

قال سعيد بن أبي عروبة: حج الحجاج مرة فمر بين مكة والمدينة فأتي بغدائه فقال لحاجبه: انظر ما يأكل معي، فذهب فإذا أعرابي نائم فضربه برجله وقال: أجب الامير، فقام فلما دخل على الحجاج قال له: اغسل يديك ثم تغد معي، فقال: إنه دعاني من هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خير منك، قال: ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبته، قال: في هذا الحر الشديد ؟ قال: نعم صمت ليوم هو أشد حرا منه، قال: فأفطر وصم غدا، قال: إن ضمنت لي البقاء لغد.

قال: ليس ذلك لي، قال: فكيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه ؟ قال: إن طعامنا طعام طيب، قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية[١].

[١] البداية (٥١٨/١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٠- من خطبه في المواعظ

ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ: الرجل وكلكم ذاك الرجل، رجل خطم نفسه وزمها فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وكفها بزمامها عن معاصي الله، رحم الله امرئ رد نفسه، امرئ اهتم نفسه، امرئ اتخذ نفسه عدوة امرئ حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرئ نظر إلى ميزانه، امرئ نظر إلى حسابه، امرئ وزن عمله، امرئ فكر فيما يقرأ غدا في صحيفته ويراه في ميزانه، وكان عند قلبه زاجرا، وعند همه آمرا، امرئ أخذ بعنان عمله كما يأخذ بعنان جمله، فان قاده إلى طاعة الله تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كف، امرئ عقل عن الله أمره، امرئ فاق واستفاق، وأبغض المعاصي والنفاق، وكان إلى ما عند الله بالأشواق.

فما زال يقول امرئ امرئ ، حتى بكى مالك بن دينار (٣).

وقال المدائني: عن عوانة بن الحكم قال: قال الشعبي: سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد، يقول: أما بعد فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء.

فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل[١].

---

[١] انظر مروج الذهب ٣ / ١٨٥. البداية والنهاية (٥٢٢/١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال الاصمعي وغيره: كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد، فقال للرسول: أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال: نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك: أما أمس فأجل، وأما اليوم فعمل، وأما غدا فأمل.

قال قتيبة بن مسلم: خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر فما زال يقول: إنه بيت الوحدة وبيت الغربة حتى بكى وأبكى من حوله، ثم قال: سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول: سمعت مروان يقول في خطبته: خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته: ما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبر وذكره إلا بكى.

وعن أبي عبد الله الثقفي عن عمّه، قال: سمعت الحسن البصريَّ يقول: وقذتني كلمة سمعتها من الحجّاج، سمعته يقول على هذه الأعواد: إن امرأ ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لحريٌّ أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة[١].

---

[١] المصدر نفسه (٥٢٢/١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣١- الحجاج وقاتل الحسين

قال شريك القاضي عن عبد الملك بن عمير، قال، قال الحجاج يوما: من كان له بلاء أعطيناه على قدره، فقام رجل فقال: أعطني فإني قتلت الحسين، فقال: وكيف قتلته ؟ قال: دسرته بالرمح دسرا، وهبرته بالسيف هبرا، وما أشركت معي في قتله أحدا.

فقال: اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد، ولم يعطه شيئا.

٣٢- صدق الله وكذب الشاعر

قال الهيثم بن عدي: جاء رجل إلى الحجاج فقال: إن أخي خرج مع ابن الاشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت داري، فقال الحجاج، أما سمعت قول الشاعر:

حنانيك من تجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بذنب قريبه * ونجا المقارف صاحب الذنب ؟

فقال الرجل: أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا، وقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله أصدق من هذا، قال: وما قال ؟ قال (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) [يوسف: ٧٨ - ٧٩] قال: يا غلام أعد اسمه في الديوان وابن داره، واعطه عطاءه، ومر مناديا ينادي: صدق الله وكذب الشاعر[١].

فهذه القصة تدل بوضوح على أن الشريعة الإسلامية سلطانها وهيبتها، حتى على طغاة الحكام وهذه خصيصة فريدة تتميز بها الشريعة الربانية عن الأنظمة والقوانين الوضيعة، كما تدلنا على أن أطغى الطغاة في العصور الأولى: لم يكن ليجرؤ على رفض شريعة الله أو تحدي نصوصها، ولو كان هو الحجّاج بن يوسف، المشهور بالقسوة والجبروت[١].

٣٣- الحجاج وأربعة وعشرين امرأة

قال الهيثم بن عدي عن ابن عباس: كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلي برأس أسلم بن عبد البكري، لما بلغني عنه، فأحضره الحجاج فقال: أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب، وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ

---

[١] البداية والنهاية (٥٢٣/١٢) .
[١] تاريخنا المفترى عليه للقرضاوي صـ٢٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) [الحجرات: ٦] وما بلغه باطل، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري وهن بالباب، فأمر الحجاج باحضارهن، فلما حضرن جعلت هذه تقول: أنا خالته، وهذه أنا عمته، وهذه أنا أخته، وهذه أنا زوجته، وهذه أنا بنته، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة، فقال لها الحجاج: من أنت ؟ فقالت: أنا ابنته، ثم قالت: أصلح الله الأمير، وجثت على ركبتيها وقالت: -

أحجاج لم تشهد مقام بناته * وعماته يندبنه الليل أجمعا

أحجاج كم تقتل به إن قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا

أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فمهلا إن تزدنا تضعضعا

أحجاج إما أن تجود بنعمة * علينا وإما أن تقتلنا معا

قال: فبكى الحجاج وقال: والله لا أعنت عليكن ولا زدتكن تضعضعا، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل، وبما قالت ابنته هذه، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتفقدها في كل وقت.

٣٤- ساء أدبه على الحجاج

قيل إن الحجاج خطب يوما فقال: أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقام إليه رجل فقال له:

ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ خبث وضل سعيك، فقال للحرس خذوه، فلما فرغ من خطبته قال له: ما الذي جرأك علي ؟ فقال: ويحك يا حجاج، أنت تجترئ على الله ولا اجترئ أنا عليك، ومن أنت حتى لا أجترئ عليك وأنت تجترئ على الله رب العالمين، فقال: خلوا سبيله، فأطلق.

٣٥- الحجاج يعفو

قال المدائني: أتي الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهما، فقال أحدهما: إن لي عندك يدا، قال: وما هي ؟ قال: ذكر ابن الأشعث يوما أمك فرددت عليه، فقال: ومن يشهد لك ؟ قال: صاحبي هذا ! فسأله فقال: نعم ! فقال: ما منعك أن تفعل كما فعل ؟ قال: بغضك، قال أطلقوا هذا لصدقه، وهذا لفعله.

فأطلقوهما.

٣٦- الحجاج و جحدر بن مالك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر محمد بن زياد عن ابن الأعرابي فيما بلغه أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان فاتكا بأرض اليمامة، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم أخذه، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج، فقال له الحجاج: ما حملك على ما كنت تصنعه ؟ فقال: جراءة الجنان، وجفاء السلطان، وكلب الزمان، ولو اختبرني الأمير لوجدني من صالح الأعوان، وشهم الفرسان، ولوجدني من أصلح رعيته، ذلك أني ما لقيت فارسا قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدرا، فقال له الحجاج: إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر فإن قتلك كفافا مؤنتك، وإن قتلته خلينا سبيلك.

ثم أودعه السجن مقيدا مغلولة يده اليمنى إلى عنقه، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسكر أن يبعث بأسد عظيم ضار، وقد قال جحدر هذا في محبسه هذا أشعارا يتحزن فيها على امرأته سليمى أم عمرو ويقول في بعضها:

أليس الليل يجمع ام عمرو * وإيانا فذاك بنا تداني

بلى وترى الهلال كما نراه * ويعلوها النهار إذا علاني

إذا جاوزتما نخلات نجد * وأودية اليمامة فانعياني

وقولا حجدر أمسى رهينا * بحاذر وقع مصقول يماني

فلما قدم الأسد على الحجاج أمر به فجوع ثلاثة أيام، ثم أبرز إلى حائر - وهو البستان - وأمر بجحدر فأخرج في قيوده ويده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليمنى مغلولة بحالها، وأعطي سيفا في يده اليسرى وخلى بينه وبين الأسد وجلس الحجاج وأصحابه في منظرة، وأقبل جحدر نحو الأسد وهو يقول:

ليث وليث في مجال ضنك * كلاهما ذو أنف ومحك
وشدة في نفسه وفتك * إن يكشف الله قناع الشك
فهو أحق مترل بترك

فلما نظر إليه الأسد زأر زأرة شديدة وتمطى وأقبل نحوه فلما صار منه على قدر رمح وثب الأسد على جحدر وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضربه ضربة خالط ذباب السيف لهواته، فخر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح، من شدة الضربة، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد وشدة موضع القيود عليه، فكبر الحجاج وكبر أصحابه وأشار جحدر يقول:

يا جمل إنك لو رأيت كريهتي * في يوم هول مسدف وعجاج
وتقدمي لليث أرسف موثقا * كيما أساوره على الإخراج
شثن براثنه ؟ كأن نيوبه * زرق المعاول أو شباة زجاج
يسمو بناظرتين تحسب فيهما * لهبا أحدهما شعاع سراج
وكأنما خيطت عليه عباءة * برقاء أو خرقا من الديباج
لعلمت أني ذو حفاظ ماجد * من نسل أقوام ذوي أبراج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعند ذلك خيره الحجاج إن شاء أقام عنده، وإن شاء انطلق إلى بلاده، فاختار المقام عند الحجاج، فأحسن جائزته وأعطاه أموالا.

٣٧- الحجاج ينفق في يوم ما ينفقه أمير المؤمنين في أسبوع

قال ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى.

قال: لما قتل الحجاج ابن الأشعث وصفت له العراق، وسع على الناس في العطاء، فكتب إليه عبد الملك: أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم ما لا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع مالا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر، ثم قال منشدا:

عليك بتقوى الله في الأمر كله * وكن يا عبيد الله تخشى وتضرع
ووفر خراج المسلمين وفيأهم * وكن لهم حصنا تجير وتمنع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكتب إليه الحجاج:

لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم * قراطيس تملا ثم تطوى فتطبع
كتاب أتاني فيه لين وغلظة * وذكرت والذكرى لذي اللب تنفع
وكانت أمور تعتريني كثيرة * فأرضخ أو اعتل حينا فأمنع
إذا كنت سوطا من عذاب عليهم * و لم يك عندي بالمنافع مطمع
أيرضي بذاك الناس أو يسخطونه * أم احمد فيهم أم ألام فأقذع
وكان بلاد جئتها حين جئتها * بها كل نيران العداوة تلمع
فقاسيت منها ما علمت و لم أزل * أصارع حتى كدت بالموت أصرع
وكم أرجفوا من رجفة قد سمعتها * ولو كان غيري طار مما يروع
وكنت إذا هموا بإحدى نهاتهم * حسرت لهم رأسي ولا أتقنع
فلو لم يذد عني صناديد منهم * تقسم أعضائي ذئاب وأضبع

قال: فكتب إليه عبد الملك: أن أعمل برأيك.

٣٨- الحجاج وسارق

قال الثوري عن محمد بن المستورد الجمحي قال: أتي الحجاج بسارق فقال له: لقد كنت غنيا أن تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل عليك عضوا من أعضائك، فقال الرجل: إذا قل ذات اليد سخت النفس بالمتالف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال: صدقت والله لو كان حسن اعتذار يبطل حدا لكنت له موضعا.

يا غلام سيف صارم ورجل قاطع، فقطع يده.

٣٩- الحجاج يأبى النبيذ

قال أبو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفراء قال: تغدى الحجاج يوما مع الوليد بن عبد الملك فلما انقضى غداؤهما دعاه الوليد إلى شرب النبيذ فقال: يا أمير المؤمنين الحلال ما أحللت، ولكني أنهى عنه أهل العراق وأهل عملي، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) [هود: ٨٨].

٤٠ - الخليفة عبد الملك يعتب على الحجاج إسرافه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال عمر بن شبة عن أشياخه قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج يعتب عليه في إسرافه في صرف الأموال، وسفك الدماء، ويقول: إنما المال مال الله ونحن خزانه، وسيان منع حق أو إعطاء باطل [١].

وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات: -

إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضائي في الذي أنا طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلك هاربا * إلى الله منه ضيع الدر حالبه
فان تر مني غفلة قرشية * فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وإن تر مني وثبة أموية * فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تعد ما يأتيك مني فان تعد * تقم فاعلمن يوما عليك نوادبه

فلما قرأه الحجاج كتب: أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الأموال، والدماء، فوالله ما بالغت في عقوبة أهل المعصية، ولا قضيت حق أهل الطاعة، فإن كان ذلك سرفا فليحد لي أمير المؤمنين حدا أنتهي إليه ولا أتجاوزه ، وكتب في أسفل الكتاب:

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقي * أذاك فيومي لا توارث كواكبه
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة * فقامت عليه في الصباح نوادبه
أسالم من سالمته من ذي هوادة * ومن لا تسالمه فإني محاربه
إذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقص الذي تسري إلي عقاربه

[١] نسخة الكتاب في مروج الذهب ٣ / ١٦٢ وابن الاعثم ٧ / ١٦٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمن يتقي يومي ويرجو إذا عدى * على ما أرى والدهر جم عجائبه

٤١- مرض الحجاج

قال الأصمعي: لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته: إن طائفة من أهل الشقاق والنفاق نزغ الشيطان بينهم فقالوا: مات الحجاج، ومات الحجاج فمه ؟ ! فهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرني أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها، وما رأيت الله رضي التخليد إلا لاهون [١] خلقه عليه إبليس، قال الله له (إنك من المنظرين) [الأعراف: ١٤] فأنظره إلى يوم الدين، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال (هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) [ص: ٣٥] فأعطاه الله ذلك إلا البقاء ، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره، فقال (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) [يوسف: ١٠١] فما عسى أن يكون أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، كأني والله بكل حي منكم ميتا، وبكل رطب يابسا، ثم نقل في أثياب أكفانه ثلاثة أذرع [٢] طولا في ذراع عرضا، فأكلت لحمه، ومصت صديده، وانصرف الخبيث من ولده يقسم

---

[١] في العقد ٣ / ١٧: لأبغض خلقه إليه وأهونهم عليه.

[٢] في مروج الذهب: فخد له في الأرض أذرع طولا في ذراعين عرضا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخبيث من ماله، إن الذين يعقلون ما أقول، ثم نزل[٣].

٤٢- عمر بن عبد العزيز يغبط الحجاج

قال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل.

٤٣- قتل عمير بن ضابىء

لما ولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراق وذلك في سنة خمس وسبعين أرسل إليه بعهده وهو بالمدينة وأمره بالمسير إلى العراق فسار في أثني عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة وبدأ بالمسجد وصعد المنبر وأمر بعهده فقريء على الناس ثم نزل ودخل مترله ثم دعا بالعرفاء وقال ألحقوا الناس بالمهلب بن أبي صفرة وكان يقاتل الخوارج وأتوني بالبراءات بموافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلا

---

[٣] البداية والنهاية (١٢/٥٩٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا نهارا حتى تنقضي هذه المدة فقام إليه عمير بن ضابىء الحنظلي وقال أنا في هذا البعث وأنا شيخ كبير عليل وابني هذا أشب مني فقال من أنت قال أنا عمير بن ضابيء قال أسمعت كلامنا بالأمس قال نعم قال أنت الذي غزا عثمان بن عفان قال بلى قال يا عدو الله أفلا إلى عثمان بعث بدلا ثم قال له أنت القائل:

هممت و لم أفعل وكدت وليتني ** تركت على عثمان تبكي حلائله

قال نعم ثم قال ما حملك على ذلك قال إنه حبس أبي حتى مات في الحبس فقال الحجاج ابنك خير لنا منك وأني لأحسب في قتلك صلاح المصرين وأمر به فضربت عنقه وأهب ماله

وكان عمير بن ضابىء فيمن دخل على عثمان رض = فوثب عليه فكسر ضلعا من أضلاعه وقال سجنت أبي حتى مات في السجن ثم سأله الحجاج فقال هل بالكوفة أحد غيره قيل نعم كميل بن زياد فطلبه فهرب فأخذ النخع به وضيق عليهم فلما رأى كميل ما لقي قومه خرج حتى أتى الحجاج فقال له الحجاج أنت الذي أردت ما أردت من أمير المؤمنين عثمان ثم لم ترض حتى أقعدته للقصاص ودفعك عن نفسه قال على أي ذلك تقتلني على عفوه أم على عافيتي فأمر به فضربت عنقه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٤- الحجاج يعب نفسه

قال محمد بن إدريس الشافعي: بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجاج بن يوسف: ما من أحد إلا وهو عارف بعيوب نفسه، فعب نفسك ولا تخبأ منها شيئاً. قال: يا أمير المؤمنين، أنا لجوج حقود حسود. فقال عبد الملك: إذاً بينك وبين إبليس نسب. فقال: يا أمير المؤمنين، إن الشيطان إذا رآني سالمني.

٤٥- الحجاج يخرج من البصرة

قال محمد بن عائشة: أراد الحجاج الخروج من البصرة إلى مكة، فخطب الناس فقال: يا أهل البصرة، إني أريد الخروج إلى مكة، وقد استخلفت عليكم محمداً ابني، أوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار، فإنه أوصى في الأنصار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، ألا وإني قد أوصيته فيكم: ألا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم، ألا وإنكم قائلون بعدي كلمة ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف، ألا وإنكم قائلون: لا أحسن الله له الصحابة. وإني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله عليكم الخلافة.

٤٦- غيبة الحجاج

قال الزبرقان: كنت عند أبي وائل فجعلت أسب الحجاج وأذكر مساوئه، فقال: لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي فغفر له.

قال عوف: ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين قال: مسكين أبو محمد، إن يعذبه الله عز وجل فبذنبه، وإن يغفر له فهنيئاً، وإن يلق الله عز وجل بقلب سليم فقد أصاب الذنوب من هو خير منه. قال: فقلت لمحمد بن سيرين: وما القلب السليم؟ قال: أن تعلم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة حق قائمة، وأن الله يبعث من في القبور.

قال رباح بن عبيدة: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه. قال: فنهاني عمر وقال: مهلاً يا رباح،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنه بلغني أن الرجل يظلم بالمظلمة، ولا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه، حتى يستوفي حقه، ويبقى للظالم الفضل عليه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٧-زواج الحجّاج من بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

قال الشافعي: لمّا تزوج الحجّاج بنت عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك بن مروان: أتُمكنه من ذلك؟ فقال: وما بأس بذلك؟ قال: أشدُّ البأس والله. قال: وكيف؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما في صدري على آل الزبير منذ تزوجت رملة بنت الزبير. قال فكأنه كان نائماً فأيقظه، فكتب إلى الحجّاج يعزم عليه في طلاقها فطلقَّها[١]، وجاء في رواية: يا أمير المؤمنين إنما خفت أن يميل الحجّاج إليهم فيسعى لمحل سلطانه فإنه لم يكن بين أهل بيتين من شحناء ما كان بيننا وبين آل الزبير، فلما تزوجت برملة بنت الزبير انقلب ذلك البغض محبة حتى إني ما أحب أكثر منهم[٢]، حتى قلت:

... ... تجول خلاخيل النساء ولا أرى

... ... خلخالاً يجول ولا قُلْبا

... ... فلا تكثروا فيها الملام فإنني

... ... تخيرتها منهم زبيرية قلبا

---

[١] البداية (٥١٧/١٢).

[٢] الحجّاج بن يوسف المفترى عليه صـ١٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

... ... أحب بني العوام من أجل حُبِّها

... ... ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا[١].

وكان الحجّاج يحترم أهل البيت ويكرمهم وما زواجه ببنت عبد الله بن جعفر إلا مظهر من ذلك ليتقرب منهم ويصلهم وعلى الرغم من أنه طلقها فما زال واصلاً لعبد الله حتى مات، فكان يرسل له في كل شهر عيراً تحمل كسوة وتحفاً وميرة وكل ما يحتاج إليه[٢]، وقد تجلى ذلك في أنه قال مرة: ليقم كل رجل منك يذكر بلاءه لنعطيه فقام رجل فقال: أنا قاتل الحسين. فقال: كيف قتلته؟؟ قال: دسرته بالرمح دسراً، وهبرته بالسيف هبراً. فقال: أما والله لا يجتمع الحسين وقاتله في الجنة، وحرمه من العطاء[٣]، وما يذكر في كتب التاريخ من كون الحجّاج نصب العداء لأهل البيت غير صحيح، وخصوصاً إذا عرفنا معاملة عبد الملك لأهل البيت وحرصه على عدم مساسهم من قريب أو بعيد ما لم يتقربوا من كرسي الخلافة ويعملوا على الوصول إليه.

٤٨- رؤية رآها الحجّاج

---

(١) وفيات الأعيان (٢/٢٢٤ ، ٢٢٥) .
(٢) المستطرف من كل فن مستظرف (٢/٣٢١)
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ، سرح العيون لابن نباته صـ١٠٨ ، الحجّاج بن يوسف المفترى عليه صـ٣٩٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رأى الحجاج أن عينيه قُلعتا: وكان تحته هند بنت المُهلَّب، وهند بنت أسماء بن خارجة فطلَّقهما ليتأوَّل رؤياه بهما، فمات ابنه محمد وجاءه نعيُ أخيه محمد من اليمن، فقال: هذا والله تأويل رؤياي محمد ومحمد في يوم واحد، إنا لله وإنا إليه راجعون ثم قال من: يقول شعراً فيُسلني به فقال الفرزدق:

إن الرَّزيَّة لارزيَّة بعدها

... ... فقدان مثل محمد ومحمد

... ... مَلِكان قد خلت المنابر منهما

... ... أخذ الحمام عليهما بالمرصد[١]

٤٩- كيف مات الحجاج؟!

كان موت الحجاج درامياً كحياته تماماً، أو لنقل إنه مات بسبب أو بآخر جزاء حياته، فقد مرض مرضاً غريباً يحكي عنه المؤرخون الثقاة كابن خلكان، حيث "كان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه، ودعا بالطبيب لينظر إليها، فأخذ لحماً وعلقه في خيط وسرحه في حلقة وتركه ساعة، ثم أخرجه وقد علق به دود كثير، وسلط الله عليه الزمهرير (شدة البرد)، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة ناراً وتدنى

[١] شذرات الذهب (٣٨٢/١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها، وشكا ما يجده إلى الحسن البصري فقال له: قد كنت نهيتك أن تتعرض إلى الصالحين فلججت، فقال له: يا حسن لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني، ولكن أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحي ولا يطيل عذابي، فبكى الحسن بكاءً شديداً، وأقام الحجاج على هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوماً، وتوفي في شهر رمضان ـــ وقيل في شوال ـــ سنة خمسٍ وتسعين للهجرة، وعمره ثلاث وقيل: أربع وخمسون سنة، وهو الأصح.

ويبدو أن الحجاج كان يستشعر في مرضه موقف الناس منه، فكان ينشد في مرض موته هذين البيتين ـــ وهما لعبيد بن سفيان العكلي:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا أيمانهم أنني من ساكِني النار

أيحلفون علـــى عمياءً ؟ ويحـــهم ما ظنهم بعظيم العفـــو غفار[1]

وزاد بعضهم في ذلك: -

إن الموالي إذا شابت عبيدهم * في رقهم عتقوهم عتق أبرار وأنت يا خالقي أولى بذا كرما * قد شبت في الرق فأعتقني من النار

وكتب إلى الوليد بن عبدالملك كتاباً يخبره فيه بمرضه، وكتب في آخره:

---

[1] البداية والنهاية (١٢/ ٥٥٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا مـــا لقيت الله عني راضـــياً فإن سرور النفـــس فيمـــا هنالك
فحسبي حياة الله مـــن كـــل ميت وحسبي ثواب الله من كل هالك
لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا ونحن نذوق الموت من بعد ذلك.

وقال ابن أبي الدنيا: ثنا أحمد بن عبد الله التيمي قال: لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى أشرفت جارية فبكت فقالت: ألا إن مطعم الطعام، وميتم الأيتام، ومرمل النساء، ومفلق الهام، وسيد أهل الشام قد مات.

وقال الطبري في تاريخه الكبير: توفي الحجاج يوم الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنة خمس وتسعين، وقال غير الطبري: لما جاء موت الحجاج إلى الحسن البصري سجد له شكراً وقال: اللهم إنك قد أمته فأمت عنا سنته[١]، وكانت وفاته بمدينة واسط ودفن بها، وعفى قبره، وأجري عليه الماء.

ولما قيل للحسن البصري: إن الحجّاج قال عند الموت كذا وكذا. قال: أقالها؟ قالوا: نعم. قال: عسى[١] .

---

[١] شذرات الذهب (٣٨١/١) .
[١] المصدر نفسه (٥٥٠/١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ختاماً

وبعد هذا التطواف مع مواقف من حياة الحجاج بن يوسف الثقفي ،لا شك أن شخصية الحجاج أصبحت أكثر وضوحاً وإنصافاً ،فان كان للحجاج مواقف سفك فيها الدماء ، فإن له مع ذلك مواقف خدم فيها الإسلام بالفتوحات وتثبيت أركان الدولة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلامية آنذاك ونحن بهذا لا نبرئ ساحة الحجاج بل يتولاه ويحاسبه ربٌ رحيم شديد العقاب ،أما نحن فكفانا ذنوبنا وسيئاتنا وأوزارنا التي بلغت عنان السماء وليس لها إلا عفو العفو جل جلاله .

والمؤمن الفطن هو الذي يأخذ الحكمة من أي إناءٍ خرجت ،وينظر بعين النملة لا بعين الذباب ويقيس أخاه المسلم بحسناته وسيئاته .

وإذا الحبيب أتى بسيئة جاءت حسناته بألف شفيع

أسأل الله الكريم المتعال أن يتولانا جميعا بعفوه ،ويخصنا برحمته وفضله ،فهو وحده يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم ،وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمير بن محمد المدري

اليمن – عمران

٢٠١٢/٥/٨م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المراجع

١. **أبراج الزجاج في سيرة الحجاج** ،إعداد عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف رحمه الله ،تحقيق د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني،١٤٠٣هـ- ١٤٢٢هـ.

٢. **البداية والنهاية**، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨ هـ.

٣. **تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام**، الذهبي، تحقيق: عمر تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١١ هـ.

٤. **تاريخ التراث العربي**، فؤاد سزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي وآخرين، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٣ م.

٥. **تاريخ الخلفاء**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، د. ت.

٦. **تاريخ الدارمي** ، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: أحمد محمد نور يوسف، دمشق، دار المأمون للتراث، د. ت.

٧. **تاريخ الأمم والملوك** ، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف- القاهرة- ١٩٧١م.

٨. **التاريخ الصغير**، للإمام البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زيد،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حلب، ١٩٧٧ م.

٩. **تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٦ هـ.

١٠. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.مصورة عن طبعة الخانجي، القاهرة، ١٣٤٩ هـ.

١١. **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، تحقيق: محيى الدين العمروي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥ هـ.

١٢. **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي** ،علي حسني الخربوطلي،— دار المعارف- القاهرة- ١٩٥٩م.

١٣. **تاريخنا المفترى عليه**، د. يوسف القرضاوي دار الشروق.

١٤. **تهذيب الكمال**، المزي، تحقيق: بشار عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢ م.

١٥. **الحجاج بن يوسف الثقفي** ،إحسان صدقي العمد:— دار الثقافة- بيروت- ١٩٧٣م.

١٦. **الحجاج بن يوسف المفترى عليه**، محمود زيادة، دار السلام.

١٧. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت.

١٨. **شذرات الذهب** ، عبدالحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٩. **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ.

٢٠. **العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي** ،عبد الواحد ذنون طه:– منشورات مكتبة باسل – الموصل – العراق- ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م.

٢١. **العقد الفريد**، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٣٨١ هـ.

٢٢. **الكامل في التاريخ**، على بن أبي الكرم ابن الأثير، تحقيق:أبو الفداء عبد اللّه القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ.

٢٣. **المستطرف في كل فن مستظرف**، الأبشيهي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٨ م، وبيروت دار الفكر.

٢٤. **وفيات الأعيان** ،ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ١٩٧٩م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com